

الْأَزْبَعُونَ حَدِيثًا

فِي

مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: الأربعةون حديثاً في مكارم الأخلاق  
المؤلف: أبي الحسن علي بن محمد المطري آل المقحفي  
رقم الإيداع: ٢٠٢٤/٩٩٢٦

مُحْفَوظٌ  
جَمِيعُ حَقُوقِ

نوع الطباعة: ٢ لون  
عدد الصفحات: ٣٠٠ صفحة  
القياس: ٢٤ X ١٧  
تجهيزات فنية:  
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية  
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ /هاني صالح .

٢٠٢٤

الإدارة

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .  
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .  
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail

dar\_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الجديدة  
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الأربعون حديثًا

في

مكارم الأخلاق

تأليف

أبي الحسن علي بن محمد المطري آل المقحفي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار الأمان  
الإسكندرية

دار القيمة  
الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنزل الخيرات والرحمات،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل  
شيء قدير..

فلك المحامد والمدائح كلها      بخواطري وجوارحي ولساني  
ولقد مننت عليّ رب بأنعم      مالي بشكر ألقهن يدان  
الحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، وأشهد أن  
محمدًا رسول الله، البشير النذير، والسراج المنير.

صلى عليك الله يا علم الهدى      واستبشرت بقدمك الأيام  
ورضى الله عن الصحابة أجمعين، وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين..

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسَامُونَ ﴿١٥٦﴾﴾<sup>(١)</sup>

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا  
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٥٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>

(١) "سورة آل عمران ، الآية ١٥٦ .

(٢) "سورة النساء ، الآية ١ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ  
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧﴾﴾<sup>(١)</sup>.

**أما بعد:** فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

### المقصود بمكارم الأخلاق، ومفهوم مكارم الأخلاق:

يعني الأخلاق الحسنة التي يتمثل بها الإنسان، والأخلاق الحسنة هي أنماط السلوك الحسن الخيّر والمعروف في الحياة، وسواء كان هذا السلوك باطناً أو ظاهراً، وهي تصدر عن الإنسان بإرادته، وتكون لأجل تحقيق غاية وهدف معين خيّر، وهناك علم يُعنى بدراسة الأخلاق الإسلامية، والتي تكون مأخوذةً من آيات القرآن الكريم والأحاديث التي تبين الخير والشر، وأسس المقارنة بينهما.

(١) "سورة الأحزاب، ٧٠-٧١ .

## مكانة مكارم الأخلاق في الإسلام:

إن دعوة النبي ﷺ انطلقت من كونها تدعو إلى مكارم الأخلاق، فقد جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ»<sup>(١)</sup> -وفي رواية: -صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

## إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق:

وقد صرّح الرسول ﷺ بالهدف من بعثته، وحدّده تحديداً واضحاً بقوله في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في شعب الإيمان، والبخاري في الأدب المفرد، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>، والحديث صحيح الإسناد، وقد رواه مالك في الموطأ بلاغاً بلفظ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٣)</sup>، وهذه هي الصيغة المشهورة على ألسنة الناس: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ». والحديث وإن كان رواه مالك باللفظ الأخير بلاغاً أي:

(١) رواه أحمد، (١٤ - ٥١٣) برقم (٨٩٣٩). والبخاري في "الأدب المفرد"، (١ - ١٠٤) برقم (٢٧٣) واللفظ لهما. والبزار، (١٥ - ٣٦٤) برقم (٨٩٤٩) باختلاف يسير ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٣٢٣) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١ / ١١٢).

(٢) رواه أحمد (١٤ / ٥١٣) والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١١٨) و الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ٢٧) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠ / ٣٥٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١ / ٤٦٤).".

(٣) "موطأ مالك ت عبد الباقي (٢ / ٩٠٤).

أن مالكاً قال: بلغني؛ فأسناده عند مالك منقطع، إلا أن الإمام ابن عبد البر قال: وهو متصل من طرق صحاح عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فحين يحدد الرسول ﷺ هدف البعثة بهدف واحد: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(١)</sup>، فليس المعنى بطبيعة الحال أن الإسلام فقط لإقامة الأخلاق بين الناس؛ إذ إن المتبادر من معنى كلمة الأخلاق بين الناس: هو المعاملة فيما بينهم، فالمقصود بالحديث أحد أمرين: إما أن يكون هذا خرج مخرج التأكيد على أهمية الأخلاق، كما في قول الرسول ﷺ: «الحج عرفة»<sup>(٢)</sup> أي: أن الوقوف بعرفة من أركان الحج، ولا يتم الحج إلا به، وإما أن يكون المقصود بالأخلاق معنى أشمل مما هو متعارف عليه بين الناس، فيكون معنى الأخلاق يعني معاملة العبد مع ربه، ثم معاملته مع نفسه، ثم معاملته مع الخلق، أي: معاملته مع الحق، ومعاملته مع الخلق، وبهذا المعنى يكون الرسول ﷺ لم يبعث فعلاً إلا لتقويم أخلاق الناس مع ربهم أولاً: اعتقاداً، وعبادة. ثم مع الخلق ثانيًا، وهذا المعنى الثاني أقرب وأليق وأنسب، وهو معنى صحيح كما لاحظتم، وقد صححه الألباني رحمه الله .

فالأخلاق الحسنة أساس بناء المجتمع، وهي من أهم ما يدعو له الدين الإسلامي، فكأنما الأخلاق بناء شيدته الأنبياء على مرّ العصور.

(١) تقدم ترجمته صفحة ٧ .

(٢) "رواه أبو داود (٢/٦٤٣) والترمذي (٢/٢٢٩) والنسائي (٥/٢٥٦) وأحمد (٣١/٦٤) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

هي الأخلاق تنبت كالنبات إذا سقيت بماء المكرمات وجاءت بعثة النبي ﷺ متممةً لهذا البناء، وكأنما حصر النبي ﷺ الهدف الأساس من بعثته: في تعليم الناس مكارم الأخلاق، وفي هذا دلالة على مكانتها العظيمة في الشريعة الإسلامية.

### فضائل مكارم الأخلاق:

إن لمكارم الأخلاق فضائل عظيمة، وقد بينها العلماء من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، وسنذكر بعضاً منها من خلال ما يلي:

- مكارم الأخلاق من الأعمال التي تدخل المسلم الجنة، بل هي من الأعمال الموصلة للفردوس الأعلى، وذلك لقوله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراءء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»<sup>(١)</sup>.

- مكارم الأخلاق سببٌ لمحبة الله تعالى لعباده، ومكارم الأخلاق سبب لمحبة الرسول ﷺ، والقرب منه يوم القيامة، وذلك لقوله ﷺ: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون والمتفيهقون».

(١) رواه أبو داود بسند حسن، (٤- ٢٥٣) برقم (٤٨٠٠) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠- ٤٢٠).

## الأبعوز حديثاً في مكارم الأخلاق

قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثَّرَاوَنَ والمتشَدِّقونَ، فما المتفَيِّهونَ؟ قال: «المتكَبِّرونَ»<sup>(١)</sup>.

- مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة، فقد قال ﷺ: «ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق»<sup>(٢)</sup>.

- مكارم الأخلاق سبب لمضاعفة الأجور والثواب، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ»<sup>(٣)</sup>.

- مكارم الأخلاق من خير أعمال العباد.

- مكارم الأخلاق سبب للزيادة في الأعمار، ولعمران الديار.

ويكفي الأخلاق شرفاً أنها وصف لخليل رب العالمين، فقد قال تعالى مادحاً نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾<sup>(٤)</sup>

وعن أنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الترمذي (٣٧٠ / ٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١ / ٤٣٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣ / ٤) والترمذي (٣٦٣ / ٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢ / ٩٩٧).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٢ / ٤) وأحمد (١٤٥ / ٤١) . .

(٤) "سورة القلم ، الآية ٤ .

(٥) رواه البخاري، (٨ - ٤٥) برقم (٦٢٠٣). ومسلم، (٣ - ١٦٩٢) برقم (٢١٥٠).

## الأبوعوز حديثاً في مكان الأخلاق

هذا وقد استعنت بالله العلي العظيم في انتقاء أربعين حديثاً صحيحاً؛ تذكيراً  
لنفسى وإخوانى، عسى أن نتحلى بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، ونسعد بذلك  
سعادةً قلبيةً صادقةً، وراحةً نفسيةً، سعادةً عامّةً شاملةً في الدنيا والآخرة.

«اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق؛ لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها؛  
لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.».

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

كتبه حامداً مصلياً

أبو الحسن علي بن محمد المطري

٢١ ذو القعدة ١٤٤٤ هـ

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليماً.

الأبوعوز حديثاً في مكان الأخلاق

## الأسوة الحسنة ذو المكارم كان أحسن الناس خلقاً

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى مادحاً نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن قتادة قال لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق  
رسول الله ﷺ، قالت: ألسنتَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله  
كان القرآن»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً»<sup>(٤)</sup>.  
وقالت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: «كلأ والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك  
لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على  
نوائب الحق»<sup>(٥)</sup>.

(١) "سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٢) "سورة القلم ، الآية ٤ .

(٣) رواه مسلم (١ / ٥١٣).

(٤) رواه البخاري (٨ / ٤٥) ومسلم (٣ / ١٦٩٢).

(٥) "رواه البخاري (١ / ٧) ومسلم (١ / ١٤١) .

من قائل هذا الكلام!؟

هذا الكلام قالته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي ﷺ لما عاد إليها من غار حراء، بعدما نزل عليه الوحي، وسمع من جبريل عليه السلام كلام رب العالمين، فرجع رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروح، ثم قال لخديجة: «أي خديجة ما لي»، وأخبرها الخبر، قال: «لقد خشيت على نفسي»، قالت له خديجة: كلاً، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم.. الحديث<sup>(١)</sup>. من أين لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد هذا التقرير العظيم، وهذا التثبيت والحكم الواضح الراسخ، وما زال الإسلام في بداية أمره؟ لا شك أنها الأخلاق التي تلقتها كل أمة من سلفها من بقايا النبوات والرسالات، واقتضتها الفطرة السليمة.

(١) رواه البخاري (٧ / ١) ومسلم (١ / ١٤١) ..

## معنى كلام خديجة رضي الله عنها

"والله لا يخزيك الله أبداً" ..

«كَلَّا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

بهذه الكلمات العظيمة ثبتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قلب رسول الله ﷺ لما حدثها بشأن الملك الذي نزل عليه بغار حراء، حيث قال لها معبراً عن خشيته: «لقد خشيتُ على نفسي».

وكان دور المرأة والزوجة الصالحة هو تخفيف حدة الضنك التي لحقت بنبي الرحمة ﷺ جراء هذه المقابلة الشديدة الصعبة مع "جبريل"، وتؤكد له عناية الله به، مدللة على خصال كريمة يتصف بها المصطفى، وسلوكيات طيبة يمارسها في مجتمعه.

فهي توضح له بكل صراحة أن الله لن يخزيه لعله واحدة، هي أنه مواظب على جملة من العبادات الاجتماعية؛ فلن يخزي الله من وصل الرحم، وصدق الحديث، وحمل الكلّ، وأكرم الضيف، وأعان على نوائب الدهر.

إنها تتحدث إلى زوجها كطبيبة نفوس، وكفيلسوفة فكر، وكعالمة في سنن الله ونواميسه في الخليقة.

إنها بكلماتها تلك تسبق ما قاله رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات..»<sup>(١)</sup>.

هذا القلب الكبير الذي يحمل كل هذا الخير للناس لا يخزيه الله، لن يصل الحُزن إلى قلبه، ولن يصل الخوف من الناس إلى وجدانه، بل ستنعم حياته، وينعم قلبه، ويزهو ويفرح، وينجلي غبار الضنك عن رأسه.

"كلا" ..

لن يحزن قلبك، ما دام يحمل الخير للناس.

"أبشر" ..

سيندمل الجرح، ويزول الوجع، وستمضي في طريق الحياة بهذا القلب الخير، يفيض منه النور إلى البشر، وتسرج به قلوباً غلفاً، وعيوناً عمياً، وآذاناً صمّاً.

"فوالله لا يخزيك الله أبداً" ..

لست أنت بالوجه الذي يرده الله، ولست أنت بالعبد الذي يتخلى عنه ربه، فأنت عبد أكرمت عباده، أشبعت جوعتهم، وأذهبت ظمأهم، وكسوت عورتهم، ومسحت على رأس اليتيم، فكنت الأب، وعفوت عن أساء إليك فكنت الأم: وإذا رحمت فأنت أمٌّ أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء

(١) صحيح، رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه المستدرک (١/ ٢١٣) .

لا يخزيك.. ولم ولن يخزيك الله أبدًا، فانعم بحياتك.

"إنك لتصل الرّحم" ..

فمن قطعك وصلته، تغني القريب الفقير، وتقوي القريب الضعيف، أنت سند أهلك، ووتد أقاربك، لم يسمعوا منك إلا كل خير، ولم يروا منك إلا كل صلاح، أنت لكبيرهم ابن، ولصغيرهم أب، ولصاحبهم أخ.

"تصدق الحديث" ..

لا تكذب أبدًا، لا تغش أبدًا، لا تزور شهادة، ولا تدلس مقالة، لم يُعهد عليك كذبة واحدة في حياتك، ولم تتلطح لحظة واحدة ببرائث الكذب.

"تحمل الكّل" ..

وهو العاجز، لا تُعينه فقط، بل وتحمله، ولا تحمله فقط، بل تحمله وحاجته، لا ينزل عنك إلا وقد قضيت مسألته، ورحمت ذلته، وأسعدت قلبه.

"تقري الضيف" ..

ما أكرم الناس إذا نزلوا بدارك، وما أعظمهم إذا حلّوا بحضرتك، أوقدت القدور، وجّهزت النمازق، وقضيت الحاجات، فإن بات الضيف بدارك بات أمنا عزيزا، وإن انصرف فمكرم مسرور.

"تعين على نوائب الحق" ..

فمصائب الأيام كثيرة، وجراح الواقع كبيرة، فيأتيك طالب العون فتعينه على نائبتة، ويأتيك المكروب فتعينه على كربته، أنت الظهر للبائسين؛ فأنت لجراحهم طبيب، وأنت ليتمهم أب.

## آيات عن مكارم الأخلاق

حدثت الشريعة الإسلامية على التحلي بالأخلاق الفاضلة، واجتناب الرذائل منها، ورتبت عظيم الأجر والفضل على ذلك، ومن الآيات القرآنية التي ذكرت الأخلاق وبيّنت فضلها.

### الوفاء بالعهد:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٢٤) (١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٢) (١)

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٨) (٣)

### النهي عن القول بغير علم:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣٦) (٤)

(١) "سورة الإسراء، الآية ٣٤ ..

(٢) "سورة المائدة، الآية ١ .

(٣) "سورة المؤمنون، الآية ٨ .

(٤) "سورة الإسراء، الآية ٣٦ .

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

النهى عن المشي بتكبر:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾<sup>(٢)</sup>

النهى عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير:

﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾<sup>(٤)</sup>

الأمر بالعدل في جميع الأحوال:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ ﴾<sup>(٥)</sup>

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾<sup>(١)</sup>

(١) "سورة النحل ، الآية ١١٦ ..

(٢) "سورة الإسراء، الآية ٣٧ ..

(٣) "سورة الإسراء، الآيات ٢٦-٢٧ .

(٤) "سورة الإسراء، الآية ٢٩ ..

(٥) "سورة الأنعام ، الآية ١٥٢ ..

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾<sup>(١)</sup> . ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾<sup>(٢)</sup> .

التعاون على البرِّ والتقوى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(٤)</sup>

التحذير من الظلم:

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .  
 ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>  
 ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٧)</sup> .  
 ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(٨)</sup> .

(١) "سورة المائدة، الآية ٨ . .

(٢) "سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) "سورة الشورى ، الآية ١٥ . .

(٤) "سورة المائدة، الآية ٢ . .

(٥) "سورة الشعراء، الآية ٢٢٧ . .

(٦) "سورة الأنعام ، الآية ٢١ . .

(٧) "سورة البقرة ، الآية ٢٢٩ . .

(٨) "سورة البقرة ، الآية ٢٧٠ .

الأمر بالصدق:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾<sup>(١)</sup>  
 ﴿وَقَالَ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِي مِنْ لَدُنكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾<sup>(٢)</sup>

التحذير من الكذب:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>  
 ﴿فَاعْتَبِهِمْ نَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾<sup>(٤)</sup>

فضل الصبر عند المصيبة والرضا بالقضاء والقدر:

﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ شَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾<sup>(٥)</sup>

(١) "سورة التوبة، الآية ١١٩ .

(٢) "سورة الإسراء، الآية ٨٠ .

(٣) سورة غافر ، الآية ٢٨ .

(٤) "سورة التوبة ، الآية ٧٧ .

(٥) "سورة البقرة، الآيات ١٥٥-١٥٧ .

## الأبعون حديثاً في ميكا والخلق

﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾<sup>(٢)</sup>

## الأبعون حديثاً في ميكا والخلق

(١) "سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٢) "سورة الفرقان ، الآية ٧٥ .

أخلاق وفضائل أخرى في الدعوة القرآنية

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا حَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِمَّنْ نِسَاءً عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ حَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَأْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (١)

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (٢)

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

(١) سورة الحجرات ، الآيات ١١-١٢ . .

(٢) "سورة المؤمنون، الآية ١-١١ . .

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ  
وَالْمُؤْتُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ  
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (١).

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْنَا نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا  
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ  
ذَلِكَ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا  
قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا وَلَا تَكُنْ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾ (٢).

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا  
﴿١٨٠﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا  
عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٨٢﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٨٣﴾  
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْرَبُوا وَلَا يَنْفَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٨٤﴾ وَالَّذِينَ لَا  
يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا  
يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨٥﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ

(١) "سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٢) "سورة الأنعام: ١٥١-١٥٢ .

## الأربعون حديثاً في مقام الإخلاق

فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْزُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴿١﴾.

الأربعون حديثاً في مقام الإخلاق

(١) "سورة الفرقان، الآيات ٦٣-٧٦ .

## مكارم الأخلاق على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة

### تعريف الأخلاق:

الأخلاق: جمع خُلُق -بضم اللام وسكونها-: الدين والطبع والسَّجِيَّة، وحقيقته - ما قاله ابن منظور-: "أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة"<sup>(١)</sup>.

ويقول الغزالي: "الخُلُق عبارة عن هيئة في النَّفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية"<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا نعلم أنَّ الإنسان إنما يمدح على الأخلاق النابعة من نفسٍ طيبة، وإرادة خالصة، أمَّا الأفعال التي تصدر عن تكَلُّفٍ فلا خير فيها.

قال بعض العلماء: "ما أسرَّ عبْدٌ سريرةً خيرٍ إلا ألبسه الله رداءها، ولا أسرَّ سريرةً شرِّ قط إلا ألبسه الله رداءها"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الشاعر العرجي:

(١) لسان العرب (١٠/٨٦).

(٢) انظر إحياء علوم الدين (٣/٥٣).

(٣) انظر موارد الظمان لدروس الزمان (٥-٤١٠).

## الأبجدية في كتاب الإخلاق

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شَيْمَتِهِ      وَمَنْ خَلَاتِقِهِ الْإِقْصَارُ وَالْمَلَقُ  
ارْجِعْ إِلَى الْحَقِّ إِمَّا كُنْتَ فَاعِلَهُ      إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ  
ويقول آخر:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ      وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ  
وقال آخر:

هي الأخلاق تنبت كالنبات      إذا سَقِيَتْ بِمَاءِ الْمَكْرُمَاتِ  
تقوم إذا تعهدها المرَبِّي      على ساقِ الفضيْلةِ مِثْمَرَاتِ  
وتسمى للمكارم بآساق      كما اتَّسَقَتْ أُنَابِيْبُ الْقَنَاءِ  
ولذا فإنَّ من تكلف خُلُقًا، وتصنَّع للآخرين، فسرعان ما يعودُ إلى سابقِ خُلُقهِ  
وطبيعته، كما يقول المتنبي:

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا      تَكْلُفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ  
وتعرف الأخلاق: أنها الدستورُ الذي ينطوي على قواعدِ السلوكِ الذي يستندُ  
في تقييمه إلى الخير والشرِّ.

فالحكم الأخلاقي هو حكم على سلوكِ الفرد والجماعة، والحكم هنا يستندُ على  
قيمتين هما: الجمال والقبح، وهما مرهونان بالمصدرِ الذي يحكم عليهما، وفي  
الإسلام: "الجميلُ ما جمَّله الشرع، والقبيحُ ما لا يرضاه ولا يقرُّه الشرع".

والإنسان منذ قدم التاريخ وأطواره كان له تقييْمٌ ثابت وواضح من بعض  
الصفات؛ مثل الكذب، والنفاق، والسرقة، والغش، وما إلى ذلك من صفات

رفضها الإنسان بفطرته السليمة، وهذا يوضح أن للإنسان نزعة أخلاقية؛ فُطر عليها لا تتغير ولا تتبدل بمرور الزمن، فموقف الناس من الشجاعة والصبر والأمانة والعفة في القديم هو نفس موقفها الآن، وسيبقى كما هو مستقبلاً.

والمجتمعات الإنسانية على مرّ العصور قامت بحماية نفسها، والحفاظ على كيانها ممن يحاولون المساس بالمجتمع وكيانه، وذلك عن طريق وضع قوانين صارمة يسيّر عليها الناس داخل المجتمع؛ لتكون هذه القوانين معياراً أخلاقياً لهم في تصرفاتهم وأفعالهم.

ولعلّ قوانين "حمورابي"<sup>(١)</sup> تُعدّ من أقدم القوانين الأخلاقية الوضعية، بل وأشهرها على الإطلاق، مما يؤكّد نزعة الإنسان دائماً وأبداً نحو الأخلاق والحفاظ عليها والدفاع عنها، كما أدرك الإنسان أيضاً أنّ أي مجتمع يقام لا بد له من قوانين تضع ضوابط له وتحكمه، وبغيرها لا يوجد مجتمع ولا صفة له، حتى إن أكثر القبائل بدائية لها من الضوابط والقوانين ما يكفي لحفظ النظام والأمن فيها.

(١) "حمورابي هو الملك السادس في الأسرة البابلية الحاكمة التي حكمت وسيطرت على وسط بلاد الرافدين (العراق) طيلة ثلاثة قرون عام ١٧٩٢ وحتى عام ١٧٥٠ قبل الميلاد، وهو الذي وضع قوانين عرفت بـ (شريعة حمورابي) وهي أول قوانين بشرية وضعية على الأرض لغرض الهيمنة والسيطرة، وقد سقطت من بعده. استمروا في عبادة التماثيل والكواكب فسلط الله عليهم أقواماً أهلكتهم، جاءوا من الشمال، منهم الحيثيون والميتانيون ثم الآشوريون. انظر موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر (ص: ١٨) ومعالم تاريخ الشرق الأدنى القديم (ص: ٣٦٦).

ولعل المتأمل قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾<sup>(١)</sup>،

يجد أنه منذ بداية الخلق قد فُطر الإنسان على ما يجوز وما لا يجوز، فكان سنن العورة أول ما فُكر فيه أبونا آدم عليه السلام وزوجه.

والنزعة الأخلاقية شديدة الارتباط بالنزعة الدينية عند الإنسان، فلا دين بدون أخلاق، ولا أخلاق بدون دين، فالتلازم بينهما ضروري؛ لأن كلاً منهما يكمل الآخر؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>، فكأنما الدين الأخلاق.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البرِّ والإثم، فقال ﷺ: «البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه»<sup>(٣)</sup>.

ولقد كان الإيمان مرتباً بالأخلاق ارتباطاً وثيقاً، فالمؤمن حسن الخلق؛ لقول رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا لَعَّانٍ، وَلَا فَاحِشٍ، وَلَا بَذِيءٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) "سورة طه، الآية ١٢١ .

(٢) "تقدم تخريجه في صفحة ٦ .

(٣) "رواه مسلم (٤ - ١٩٨٠) .

(٤) رواه الترمذي (٤ / ٣٥٠) والحاكم (١ / ٥٧) وابن حبان (١ - ٤٢) وصححه الألباني في صحيح

الجامع برقم (٥٣٨١) .

وروى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»<sup>(١)</sup>،

وقد امتدح الله نبيّه الكريم بحسن خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وحسن الخلق له مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في دين الإسلام، قال ابن القيم: "الدين كله خُلُق؛ فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدين".  
وقد وردت النصوصُ الكثيرة في الكتابِ والسنة مبيّنة فضلَ حسن الخلق، مرغبة في مكارم الأخلاق، مثنية على المتحلّين بمحاسن الآداب، زاجرة عن الاتصاف بمساوئها.

يقول الله تعالى مثنيًا على خير خلقه وخاتم رسله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> .

وهناك آياتٌ كثيرة تدعو إلى التحلّي بمكارم الأخلاق، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وقد رُوي عن جعفر الصادق أنه قال: "ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها"<sup>(٥)</sup> .

(١) "تقدم تخريجه في صفحة ٩ .

(٢) "سورة القلم ، الآية ٤ .

(٣) "سورة القلم ، الآية ٤ .

(٤) "سورة الأعراف، الآية ١٩٩ .

(٥) "انظر فتح الباري لابن حجر (٨ / ٣٠٦) .

## الأبعوز حديثاً في مكارم الأخلاق

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup>، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

كما جاءت السنة مبينة الأجر العظيم لمن اتصف بمكارم الأخلاق، ومما ورد في ذلك قوله ﷺ: «البر حسن الخلق»<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك قوله ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله ليبغضُ الفاحشَ البذيء»<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك قوله ﷺ وقد سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق»<sup>(٦)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»<sup>(١)</sup>.

(١) "سورة البقرة، الآية ٨٣ .

(٢) "سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٣) "سورة النساء ، الآية ١١٤ .

(٤) رواه مسلم (٤ - ١٩٨٠) .

(٥) "تقدم تخريجه في صفحة ١٠ .

(٦) "رواه الترمذي (٣٦٣ / ٤) وأحمد (١٥ - ٤٣٥) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٧٧) .

هذا، والأخلاق الحسنة المحمودة التي دعا إليها الإسلام، ورغَّب فيها، وحث على التخلق بها كثيرة، ومن العلماء من أرجعها إلى أصولٍ أربعة، وهي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدل.

### ومن الأخلاق الإسلامية المحمودة:

الصبر، والحلم، والرفق، والكرم، والحياء، والتواضع، والشجاعة، والعدل، والإحسان، وقضاء الحوائج، وغض البصر، وكف الأذى، والأمانة، والصدق، والرحمة، والوفاء، وطلاقة الوجه، وطيب الكلام، وحسن الاستماع، وحسن الظن، وتوقير الكبير، وإجابة الدَّعوة، والإصلاح بين النَّاس، وعلو الهمة، والإيثار، والهدية وقبولها، وجبر الخواطر، ومُراعاة المشاعر، وغيرها.

ولقد ضرب المسلمون أروع الأمثال في جمال الخلق، وطيب المعشر، وحسن المعاملة؛ ولذلك كانوا سادة الأمم، ومحطَّ الأنظار، وموضع القدوة حين كانوا متمسكين بأخلاقهم السامية، وإمامهم وقدوتهم في ذلك رسولهم الكريم ﷺ، ثم صحابته الكرام، والتابعون لهم بإحسان.

وحين نتحدث عن محاسن الأخلاق، نرى لزاماً علينا أن نتحدث عن بُعث متممًا لمكارم الأخلاق، الذي وصفه ربه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

(١) رواه أبو داود (٤ / ٢٥٢).

﴿٤﴾ (١) ، فكان خلقه القرآن؛ يمتثلُ أوامره، ويجتنبُ نواهيه، قد اجتمعت فيه الفضائلُ كُلُّها، والمكارمُ أجمعها.

فَأَخْلَقَ الرَّسُولَ لَنَا كِتَابًا  
وَعَزَّزْنَا بَعْضَ الدِّينِ ذُلًّا  
وَجَدْنَا فِيهِ أَقْصَى مُبْتَغَانَا  
وَفُذُّونَا شَمَائِلَ مُصْطَفَانَا

فعن أي شيءٍ من أخلاقه ﷺ نتحدث؟ أنتحدث عن جوده؟ فقد كان ﷺ أجودَ النَّاسِ، ما سُئِلَ شيئاً قط فقال: لا، ولقد جاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا؛ فإنَّ محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة (٢).

أم نتحدثُ عن رحمته بأتمه ورافته بها؟ فقد كان رحيماً رقيقاً رقيقاً كما وصفه ربه تعالى بقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٣) ، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤)

أم نتحدث عن حلمه وعفوه؟ فقد كان أحلمَ النَّاسِ.

(١) "سورة القلم، الآية ٤ .

(٢) "رواه مسلم (٤ - ١٨٠٦) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٤) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

أم نتحدث عن شجاعته؟ فقد كان ﷺ أشجع الناس.

أم نتحدث عن حيائه؟ فقد كان ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها.

أم نتحدث عن تواضعه؟ فقد كان مضربَ المثل في ذلك، مع أنه سيد البشر.

أم نتحدث عن محبته لأصحابه، وملاطفته لهم، والبشاشة في وجوههم،

والسؤال عن أحوالهم، وتطبيب وخواطرهم؟

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿١١﴾﴾ (١).

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

## منزلة الأخلاق في الإسلام

الأخلاق الفاضلة لها منزلة رفيعة في دين الله، ولها ارتباط قوي بقوة الإيمان وحسنه، وتدئين المرء وتمسكه بالشرعية، ولها أعظم الأثر في قوة الأمة ووحدة صفوفها، ولأن الأخلاق يمكن اكتسابها؛ كان من المهم الحديث عن وسائل اكتساب الأخلاق الفاضلة.

ولا ريب أن أثقل ما على الطبيعة البشرية تغيير الأخلاق التي طبعت عليها النفس، إلا أن ذلك ليس متعذراً ولا مستحيلاً، بل إن هناك أسباباً ووسائل يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق؛ ومن ذلك ما يلي:

**١- سلامة العقيدة:** فشان العقيدة عظيم، وأمرها جليل؛ فالسلوك -في الغالب- ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر، وما يعتقده من معتقد، وما يدين به من دين، والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد، ثم إن العقيدة هي الإيمان، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، فإذا صحّت العقيدة حسنت الأخلاق تبعاً لذلك.

**٢- الدعاء:** فالدعاء باب عظيم، فإذا فُتح للعبد، تتابعت عليه الخيرات، وانهالت عليه البركات، فمن رغب في التحلي بمكارم الأخلاق، ورغب في التخلي عن مساوئ الأخلاق، فليجأ إلى ربه، وليرفع إليه أكف الضراعة، ليرزقه حسن الخلق، ويصرف عنه سيئه، ولهذا كان النبي ﷺ كثير الضراعة

إلى ربه يسأله أن يرزقه حسن الخلق، وكان يقول في دعاء الاستفتاح: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»<sup>(١)</sup>، وكان من دعائه ﷺ: «اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء، والأعمال، والأدواء»<sup>(٢)</sup>، وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهزم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات»<sup>(٣)</sup>.

**٣- المجاهدة:** ذلك أن الخلق الحسن نوعٌ من الهداية يحصلُ عليه المرء بالمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فمن جاهد نفسه على التحلي بالفضائل، وجاهدها على التخلي عن الرذائل، حصل له خيرٌ كثير، واندفع عنه شرٌّ مستطير.

**٤- المحاسبة:** وذلك بنقد النفس إذا ارتكبت أخلاقاً ذميمة، وحملها على ألا تعود إلى تلك الأخلاق مرة أخرى، مع أخذها بمبدأ الثواب إذا أحسنت، وأخذها بمبدأ العقاب إذا توانت وقصرت، فإذا أحسنت أراحها وأجمها، وأرسلها على

(١) رواه مسلم (١- ٥٣٤).

(٢) رواه ابن حبان (٣/ ٢٤٠) وأبو نعيم في الحلية (٧- ٢٣٧) ورواه الترمذي بلفظ اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق... انظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٨٩).

(٣) رواه البخاري (٨- ٧٩) ومسلم (٤- ٢٠٧٩).

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

سَجِيَّتِهَا بَعْضَ الْوَقْتِ فِي الْمَبَاحِ، وَإِذَا أَسَاءَتْ وَقَصُرَتْ أَخَذَهَا بِالْحَزْمِ وَالْجِدِّ، وَحَرَمَهَا مِنْ بَعْضِ مَا تَرِيدُ.

**٥- التفكير في الآثار المترتبة على حسن الخلق:** فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ثَمَرَاتِ الْأَشْيَاءِ، وَاسْتِحْضَارَ حَسَنِ عَوَاقِبِهَا، مِنْ أَكْبَرِ الدَّوَاعِي إِلَى فِعْلِهَا وَتَمَثُّلِهَا، وَالسَّعْيِ إِلَيْهَا، فَكَلَّمَا تَصَعَّبَتِ النَّفْسُ فَذَكَرَهَا تِلْكَ الْآثَارَ، وَمَا تَجْنِي بِالصَّبْرِ مِنْ جَمِيلِ الثَّمَارِ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تَلِينُ وَتَتَقَادُ طَائِعَةً مَنْشُرْحَةً، فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا رَغِبَ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَأَدْرَكَ أَنَّهَا مِنْ أَوْلَى مَا اِكْتَسَبَتْهَا النَّفُوسُ، وَأَجَلَ غَنِيمَةِ غَنَمِهَا الْمَوْفِقُونَ، سَهَّلَ عَلَيْهِ نَيْلَهَا وَاِكْتَسَابَهَا.

**٦- النظر في عواقب سوء الخلق:** وَذَلِكَ بِتَأْمُلِ مَا يَجْلِبُهُ سُوءُ الْخَلْقِ مِنَ الْأَسْفِ الدَّائِمِ، وَالْهَمِّ الْمَلْزَمِ، وَالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، وَالْبُغْضَةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، فَذَلِكَ يَدْعُو الْمَرْءَ إِلَى أَنْ يَقْصَرَ عَنِ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْبَعِثَ إِلَى مُحَاسِنِهَا.

**٧- الحذر من اليأس من إصلاح النفس:** فَهَنَّاكَ مِنْ إِذَا ابْتَلَى بِمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ ضَرْبَةٌ لِأَزْبٍ لَا تَزُولُ، وَأَنَّهُ وَصْمَةٌ عَارٍ لَا تَنْمُحِي، وَهَنَّاكَ مِنْ إِذَا حَاوَلَ التَّخْلَصَ مِنْ عَيُوبِهِ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ فَلَمْ يَفْلَحْ، أَيْسَ مِنْ إِصْلَاحِ نَفْسِهِ، وَتَرَكَ الْمَحَاوَلَةَ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ أَبَدًا، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِالذُّونِ، وَأَنْ يَتْرَكَ رِيَاضَةَ نَفْسِهِ، زَعَمًا مِنْهُ أَنَّ تَبَدُّلَ الْحَالِ مِنَ الْمَحَالِ.

**٨- علو الهمة:** فعلو الهمة يستلزم الجدّ والإباء، ونشدان المعالي، وتطلب الكمال، والترفع عن الدنيا والصغائر ومحقرات الأمور، والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسيط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل، حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد.

قال ابن القيم: "فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتّصف بكلّ خلق جميل، ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتّصف بكلّ خلق رذيل"<sup>(١)</sup>.

**٩- الصبر:** فالصبر من الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن، فالصبر يحمل على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وترك الطيش والعجلة، وقل من جدّ في أمر تطلبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر.

**١٠- العفة:** فهي تحمل على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمل على الحياء؛ وهو رأس كلّ خير، وتمنع من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة، والنميمة.

**١١- الشجاعة:** فهي تحمل على عزة النفس، وإبادة الضيم، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندی، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على

(١) كتاب الفوائد (١- ١٤٤) .

إخراج المحبوب ومفارقتها، وهي تحمل صاحبها على كظم الغيظ، والحلم، فإنه بقوة نفسه وشجاعته يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن الطيش.

**١٢- العدل:** فهو يحمل على اعتدال الأخلاق، وتوسطها بين طرفي الإفراط والتفريط؛ فيحمل على خلق الجود الذي هو توسط بين البخل والإسراف، وعلى خلق التواضع الذي هو توسط بين الدلّة والكبر، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس.

**١٣- تكلف البشر والطلاقة، وتجنب العبوس والتقطيب:** قال ابن حبان: "البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء؛ لأنّ البشر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي"<sup>(١)</sup>.

**١٤- التغاضي والتغافل:** فذلك من أخلاق الأكابر والعظماء، وهو مما يعين على استبقاء المودة واستجلابها، وعلى وأد العداوة وإخلاق المباغضة، ثم إنه دليل على سمو النفس وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة ويعلي المكانة.

**١٥- الحلم:** فالحلم من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب؛ لما فيه من سلامة العرض، وراحة الجسد، واجتلاب الحمد، وحدّ الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب.

(١) "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء" (١ - ٧٥) .

١٦- **الإعراض عن الجاهلين:** فمن أعرض عن الجاهلين حمى عرضته، وأراح نفسه، وسلم من سماع ما يؤذيه، قال **تعالى:** ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١).

١٧- **الترفع عن السباب:** فذلك من شرف النفس، وعلو الهمة. قال رجلٌ من قريش: ما أظنُّ معاويةً أغضبه شيءٌ قط، فقال بعضهم: إن ذكرت أمه غضب، فقال مالك بن أسماء المنى القرشي: أنا أغضبه إن جعلتم لي جُعلاً، ففعلوا، فأتاه في الموسم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ عينيك لتشبهان عيني أمك، قال: نعم كانتا عينين طالما أعجبتا أبا سفيان (٢).

١٨- **الاستهانة بالمسيء:** وذلك ضربٌ من ضروب الأنفة والعزة، ومن مستحسن الكبر والإعجاب.

حكي عن مصعب بن الزبير **رضي الله عنه** أنه لما ولي العراق جلس يوماً لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى: أين عمرو بن جرموز -وهو الذي قتل أبوه الزبير-؟ فقيل له: أيها الأمير، إنه قد تباعد في الأرض، فقال: أويظنُّ الجاهلُ أنني أقيده -أي: أقتص منه- بأبي عبد الله؟ فليظهر أمناً ليأخذ عطاءه موفراً، فعد النَّاسُ ذلك من مستحسن الكبر (٣).

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.

(٢) المحاسن والمسائى لإبراهيم بن مُحمَّد البيهقي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ) (ص ٢٢١).

(٣) أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي (٢٥٣).

١٩- نسيان الأذية: وذلك بأن تنسى أذيةً من نالك بسوء؛ ليصفو قلبك له، ولا تستوحش منه، فمن تذكّر إساءة إخوانه، لم تصف له مودتهم، ومن تذكّر إساءة النَّاس إليه، لم يطب له العيش معهم؛ فانس ما استطعت النسيان.

٢٠- العفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان: فهذا سبب لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة، وفيه من الطمأنينة، والسكينة، والحلاوة، وشرف النفس، وعزها، وترفعها عن تشفيها بالانتقام، ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام.

٢١- السخاء: فالسخاء محبةٌ ومحمدة، كما أنّ البخل مذمة ومبغضة، فالسخاء يجلب المودة، وينفي العداوة، ويكسب الذكر الجميل، ويخفي العيوب والمساوى.

٢٢- نسيان المعروف والإحسان إلى النَّاس: وهذه مرتبةٌ عالية، ومنزلة رفيعة، وهي أن تنسى ما يصدر منك من إحسان حتى كأنه لم يصدر، فمن أراد أن يرتقي في المكارم فلينس ما قدّم من إحسانٍ ومعروف؛ حتى يسلم من المنّة والترفع على النَّاس، ولأجل أن يتأهل لنيل مكارم أخرى أرفع وأرفع.

٢٣- الرضا بالقليل من النَّاس، وترك مطالبتهم بالمثل: وذلك بأن يأخذ منهم ما سهل عليهم، وطوعت له به أنفسهم سماحة واختياراً، وألا يحملهم على العنت والمشقة، قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١) ،

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩٩ .

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في هذه الآية: "أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس" (١).

**٢٤- احتساب الأجر عند الله تعالى :** فهذا الأمر من أعظم ما يعين على اكتساب الأخلاق الفاضلة، فهو مما يعين على الصبر، والمجاهدة، وتحمل أذى الناس، فإذا أيقن المسلم أن الله عز وجل سيجزيه على حسن خلقه ومجاهدته لنفسه، فإنه سيحرص على اكتساب محاسن الأخلاق، وسيهون عليه ما يلقاه في ذلك السبيل.

**٢٥- تجنب الغضب:** لأن الغضب جمة تنقذ في القلب، وتدعو إلى السطوة والانتقام والتشقي، فإذا ما ضبط الإنسان نفسه عند الغضب، وكبح جماحها عند اشتداد ثورته، فإنه يحفظ على نفسه عزتها وكرامتها، وينأى بها عن ذل الاعتذار، ومغبة الندم، ومذمة الانتقام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله، أوصني، فقال ﷺ: «لا تغضب»، ثم ردّد مراراً، قال: «لا تغضب» (٢).

(١) فتح القدير (٢٠ - ٣٢٠).

(٢) رواه البخاري (٨ - ٢٨).

قال الماوردي: "فينبغي لذي اللب السوي، والحزم القوي، أن يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدّها، ويقابل دواعي شرته بحزمه فيردّها؛ ليحظى بأجل الخيرة، ويسعد بحميد العاقبة"<sup>(١)</sup>.

**٢٦- تجنب الجدل:** لأن الجدل يذكي العداوة، ويورث الشقاق، ويقود إلى الكذب، ويدعو إلى التشقي من الآخرين، فإذا تجنبه المرء سلم من اللجاج، وحافظ على صفاء قلبه، وأمن من كشف عيوبه، وإطلاق لسانه في بذيء الألفاظ، وساقط القول، ثم إن اضطر إلى الجدل فليكن جدلاً هادئاً يراد به الوصول إلى الحق، وليكن بالتّي هي أحسن وأرفق، قال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالتّي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

**٢٧- التواصي بحسن الخلق:** وذلك بيث فضائل حسن الخلق، وبالتحذير من مساوئ الأخلاق، وبنصح المبتليّ بسوء الخلق، وبتشجيع حسني الأخلاق، فحسن الخلق من الحق، والله سبحانه يقول: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(٣)</sup>.

**٢٨- قبول النصح الهادف، والنقد البناء:** فهذا مما يعين على اكتساب الأخلاق الفاضلة، ومما يبعث على التخلّي عن الأخلاق الساقطة، فعلى من نُصح أن يتقبل النصح، وأن يأخذ به؛ حتى يكمل سؤدده، وتتم مروءته، ويتناهى فضله.

(١) أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٨) .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٣) سورة العصر، الآية ٣ .

٢٩- قيام المرء بما يُسند إليه من عملٍ على أتم وجه: حتى يسلم بذلك من التوبيخ والتفريع، ومن ذلِّ الاعتذار، ومن تكدر النفس، واعتلال الأخلاق.

٣٠- التسليم بالخطأ إذا وقع، والحذر من تسويغه: فذلك آية حسن الخلق، وعنوان علو الهمة، ثم إنَّ فيه سلامة من الكذب ومن الشقاق، فالتسليم بالخطأ فضيلةٌ ترفع قدرَ صاحبها.

٣١- لزوم الرفق: قال ﷺ: «إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>(١)</sup>، وقال: «إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرفقَ في الأمرِ كلِّه»<sup>(٢)</sup>.

٣٢- لزوم التواضع: فالتواضع في حقيقته هو بذلُّ الاحترام، والعطف، والمجاملة لمن يستحقُّ ذلك.

٣٣- استعمال المداراة: فالناس خُلُقوا للاجتماع لا للعزلة، وللتعارف لا للتناكر، وللتعاون لا لينفرد كلُّ واحدٍ بمرافق حياته، وللإنسان عوارضٌ نفسية؛ كالحب والبغض، والرضا والغضب، والاستحسان والاستهجان.

فلو سار الإنسان على أن يكشف النَّاسَ بكلِّ ما يعرض له من هذه الشؤون في كلِّ وقت وعلى أي حال لاختلَّ الاجتماع، ولم يحصل التعارف، وانقبضت الأيدي عن التعاون.

(١) رواه مسلم (٤- ٢٠٠٤).

(٢) رواه مسلم (٤- ٢٠٠٣).

فكان من حكمة الله في خلقه أن هياً الإنسان لأدب يتحامى به ما يحدث تقاطعاً، أو يدعو إلى تخاذل، ذلك الأدب هو المداراة، فالمداراة مما يزرع المودة والألفة، ويجمع الآراء المشتتة، والقلوب المتنافرة.

والمداراة ترجع إلى حسن اللقاء، ولين الكلام، وتجنب ما يشعر بيبغض أو غضب، أو استنكار إلا في أحوال يكون الإشعار به خيراً من كتمانها.

**٣٤- لزوم الصدق:** فإن للصدق آثاراً حميدة، وعوائد عديدة؛ فالصدق حسنة تتساق بصاحبها إلى الحسنات، فهو دليل على حسن السيرة، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل.

**٣٥- تجنب كثرة اللوم والتعنيف على من أساء:** فلا يحسن بالعاقل أن يسرف في لوم من أساء، خصوصاً إذا كان المسيء جاهلاً، أو كان ممن ينذر وقوع الإساءة منه، فكثرة اللوم مدعاة للغضب وغلظ الطبع.

**٣٦- تجنب الوقعة في الناس:** فالوقعة في الناس، والتعرض لعيوبهم ومغامزهم، مما يورث العداوة، ويشوش على القلب، فتسوء الأخلاق تبعاً لذلك، بل إن ذلك مدعاة لأن يبحث الناس عن معائب ذلك الشخص، ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ والباطل.

**٣٧- أن يضع المرء نفسه موضع خصمه:** فهذا يدعو لالتماس المعاذير، والكف عن إنفاذ الغضب، والبعد عن إساءة الظن، فالواحد منا -على سبيل المثال- ينزعج كثيراً إذا كان خلفه في السيارة شخصٌ يطلق الأبواق، ونحن قد

نقع موقعه ونفعل ما فعله، إمّا حرصاً على اللحاق بموعدٍ مهم، أو أن يكون مع بعضنا مريض، أو نحو ذلك، فإذا وضعنا أنفسنا موضعَ الخصم وجدنا ما يسوغُ فعله، فنقصر بذلك عن الإساءة والجهل، ونحتفظُ بهدوئنا وحلمنا.

**٣٨- أن يتخذ الناس مرآة لنفسه:** فهذا مما يحسنُ بالمرءِ فعله والأخذ به، فكل ما كرهه ونفر عنه؛ من قول، أو فعل، أو خلق، فليتجنبه، وما أحبه من ذلك واستحسنه، فليفعله.

إِذَا أَعْجَبْتُكَ خِصَالُ امْرِئٍ فَكُنْهُ تَكُنْ مِثْلَ مَا يُعْجِبُكَ  
فَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ إِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكَ

**٣٩- مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة:** فهذا الأمرُ من أعظم ما يربي على مكارم الأخلاق، وعلى رسوخها في النفس، فالمرء مولعٌ بمحاكاة مَنْ حوله، شديد التأثير بمن يصاحبه.

## كيف نكتسب الأخلاق الفاضلة

الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين، وهو - على التحقيق - شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمخازي الفاضحة.

يقول النبي ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»<sup>(٢)</sup>.

لذلك كانت العناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وطرق اكتساب الأخلاق الفاضلة من أهم الواجبات، إذ لا يخلو قلب من القلوب من أسقام لو أهلمت تراكت وترادفت، ولا تخلو نفس من أخلاق لو أطلقت لساقت إلى الهلكة في الدنيا والآخرة.

وهذا النوع من الطب يحتاج إلى تأتق في معرفة العلل والأسباب، ثم إلى تشمير في العلاج والإصلاح، كي ينال الفلاح والنجاح، يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّهَا ۝١﴾<sup>(٣)</sup>

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٦ .

(٢) تقدم تخريجه في صفحة ٣١ .

(٣) سورة الشمس الآية ٩ .

وقد كان النبي ﷺ يدعو بحسن الخلق ويقول: «اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خُلُقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»<sup>(١)</sup>

ثانياً:

إذا عرف العبد عيوب نفسه أمكنه العلاج، ولكن كثيراً من الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق:

الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، مُطَّلِعٍ على خفايا الآفات يأخذ عنه العلم والتربية والتوجيه معاً.

الثاني: أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً، فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله، فما كرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه، فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين، كان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأً أهدى إلى عيوبي<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد (٤٩) ابن حبان في صحيحه (٢٣٩/٣) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على

صحيح ابن حبان (٢/٢٨٩) وفي إرواء الغليل (٧٥).. وصحيح الجامع (١ - ٢٨٠)

(٢) انظر سنن الدارمي (١/٥٠٩).

الطريق الثالث: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط تبدي المساويان، ولعل انتفاع الإنسان بعدو مُشاحن يذكِّره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديقٍ مدهنٍ يُثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه.

الطريق الرابع: أن يخالط الناس، فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه، قيل لعيسى عليه السلام: مَنْ أدَّبَكَ؟ قال: ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل شيئاً فاجتنبته<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً:

والخلق عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد، بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، وكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق، وهو:

قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة. وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث.

أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها إدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين

(١) أدب الدنيا والدين (١-٢٣١) وانظر أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر بن عاصم النمري

القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) (١-١٠٦)

## الأبعوز خديثاً في كمال الأخلاق

الجميل والقييح في الأفعال، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة.

وأما قوة الغضب: فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة.

وكذلك الشهوة: حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة، أعني إشارة العقل والشرع.

وأما قوة العدل: فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع.

فالعقل مثاله مثال الناصح المشير. وقوة العدل هي القدرة، ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل، والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة.

فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً، وعنها تصدر الأخلاق الجميلة كلها.

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من رسول الله.

### رابعاً:

وهذا الاعتدال يحصل على وجهين:

**أحدهما:** بجود إلهي وكمال فطري.

**والوجه الثاني:** اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب.

قال رسول الله ﷺ: «**العلم بالتعلم والحلم بالتحمل ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه**»<sup>(١)</sup> رواه الخطيب وغيره من حديث أبي الدرداء، وحسنه الألباني.

فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود، فطريقه أن يتكأف تعاطي فعل الجواد، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير بذلك طبعاً، ويتيسر عليه فيصير به جواداً.

وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع، وقد غلب عليه الكبر، فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكأف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً فيتيسر عليه.

وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق، ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها.

(١) رواه الخطيب في تاريخه (٩ / ١٢٧) والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٠ / ٢٣٦) وأبو نعيم في الحلية (٥-١٧٤) وحسنه الألباني في الصحيحة (١-٦٧٠)

## ويعرف ذلك بمثال:

وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفةً نفسيةً حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن، فيتشبه بالكاتب تكلفاً، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفةً راسخةً في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً.

وكذلك من أراد أن يصير فقيهُ النفس، فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقهِ، حتى تنعطف منه على قلبه صفةُ الفقهِ فيصير فقيهُ النفس.

وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيفَ النفس حليماً متواضعاً، فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له؛ فلا علاج له إلا ذلك.

وكما أن طالب فقهِ النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة، فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليلتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعضيان يوم، ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها، ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس بالكسل.

خامسا:

مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثالُ البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه.

وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال، وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال، فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، أي بالاعتیاد والتعليم تكتسب الرذائل.

وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالتنشئة والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم.

وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة، وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه، فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها، وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها.

وكما أن العلة المغيرة لا اعتدال البدن الموجبة المرض لا تعالج إلا بضدها، فإن كانت من حرارة فبالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض

البخل بالتسخي، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا.

وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة، فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب، بل أولى، فإن مرض البدن يخلص منه بالموت، ومرض القلب - والعياذ بالله تعالى - مرض يدوم بعد الموت أبد الأباد.

فهذه الأمثلة تُعرِّفك طريق معالجة القلوب، وتنبهك على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضاد لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَرِيقًا لِّلْجَنَّةِ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ﴾<sup>(١)</sup>.

### وأخيرا:

الأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم، فإذا عزم على ترك شهوة فينبغي أن يصبر ويستمر، فإنه إن عوَدَ نفسه ترك العزم أَلْفَتَ ذلك ففسدت، وإذا اتفق منه نقضُ عزمِ فينبغي أن يُلْزِمَ نفسه عقوبةً عليه، وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية<sup>(٢)</sup>.

كيف يتخلص المسلم من الخلق السيء، ويتحلى بالخلق الحسن الجميل

(١) سورة النازعات ، الآيات ٤٠-٤١ .

(٢) "إحياء علوم الدين" للغزالي (٣/٦٢-٩٨).

الخلق الحسن أثقل شيء في ميزان الأعمال يوم القيامة، وأحسن الناس خلقاً أقربهم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة.

روى الترمذي وحسنه عن جابرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ، ومسلم عن عبد الله بن عمرو عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي رحمه الله :

" فِيهِ الْحَثُّ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، وَبَيَانَ فَضِيلَةِ صَاحِبِهِ، وَهُوَ صِفَةُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ،

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: حَقِيقَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ: بَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: هُوَ مُخَالَطَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرِ، وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ، وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ، وَاحْتِمَالُهُمْ، وَالْحِلْمُ عَنْهُمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ، وَتَرْكُ الْكِبْرِ وَالْإِسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ. وَمُجَانَبَةُ الْغِلْظِ وَالْعُضْبِ، وَالْمُؤَاخَذَةِ<sup>(٣)</sup> "

ثانياً تحسين الخلق وتهذيبه ممكن، ويكون ذلك بالوسائل التالية:

(١) تقدم تخرجه صفحة ٩.

(٢) رواه البخاري (٨ - ١٣) ومسلم (٤ - ١٨١٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٥ - ٧٨).

- معرفة فضائل حسن الخلق والجزاء الحسن المترتب عليه في الدنيا والآخرة.
  - معرفة مساوئ سوء الخلق، وما يترتب عليه من الجزاء والأثر السيء.
  - النظر في سير السلف وأحوال الصالحين.
  - البعد عن الغضب، والتحلي بالصبر، والتمرس على التآني وعدم العجلة.
  - مجالسة أصحاب الخلق الحسن، والبعد عن مجالسة أصحاب الخلق السيء.
  - تمرين النفس على حسن الخلق، والتعود عليه، وتكلفه، والصبر على ذلك،
- قال الشاعر:

تَكْرَمٌ لَتَعْتَادَ الْجَمِيلَ، وَلَنْ تَرَى      أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَأْنَ يَنْكَرَمَا

**وأخيراً:** بدعاء الله تعالى بأن يحسن خلقه وأن يعينه على ذلك، وكان من دعاء النبي **صل:** «اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسِنْ خُلُقِي»<sup>(١)</sup>.

وإذا ما زل المسلم وساء خلقه في موقف من المواقف، فإنه يبادر إلى الاعتذار، وإصلاح ما أفسده، والعزم على تحسين خلقه. والمسلم حينما يحسن خلقه يفعل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، وطلباً لمرضاته، واقتداء برسول الله ﷺ، شأنه في ذلك شأن جميع العبادات، فلا يحسن خلقه من أجل أن يمدحه الناس، فيكون بذلك قد أبطل ثوابه واستحق العقاب على هذا "الرياء".

(١) تقدم تخرجه صفحة ٤٧.

## الأبغوز حديثاً في مكان الإخلاق

وكما يجتهد المسلم في إخلاص عبادته كلها لله، فكذلك يفعل عندما يحسن خلقه، فيضع نصب عينيه دائماً أمر الله له، والحساب والميزان والجنة والنار، وأن الناس لن ينفعوه ولا يضره بشيء.  
فذكر الآخرة من أهم ما يعين المسلم على الإخلاص لله تعالى.

### الدعاء أعظم وسيلة على اكتساب الأخلاق الفاضلة

كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي -إِلَى قَوْلِهِ:- أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِنِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقِنِي سَيِّئَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَا يَقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه مسلم (١ - ٥٣٤) برقم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

## الحديث الأول:

تصحيح النية وإرادة وجه الله بالعمل  
وحده لا شريك له

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» [صحيح] (١).

الشرح:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في سبعة مواضع:

- كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ، برقم (١).
  - كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، برقم (٥٤).
  - كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، برقم (٢٥٢٩).
  - كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، برقم (٣٨٩٨).
  - كتاب النكاح، باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى، برقم (٥٠٧٠).
  - كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان، برقم (٦٦٨٩).
  - كتاب الحيل، باب في ترك الحيل، وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها، برقم (٦٩٥٣).
- وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب قوله : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، برقم (١٩٠٧).

هذا حديث عظيم الشأن، وقد عدّه بعض العلماء ثلث الإسلام، فالمؤمن يثاب بحسب نيته، وعلى قدر صلاحها، فمن كانت أعماله خالصة لله فهي مقبولة ولو كانت قليلة يسيرة بشرط موافقة السنة، ومن كانت أعماله رياء للناس وليست خالصة لله فهي مردودة وإن كانت عظيمة كثيرة. وكل عمل ابْتُغِيَ به غير وجه الله، سواء كان هذا المُبتَغَى امرأة أو مالاً أو جاهاً أو غير ذلك من أمور الدنيا؛ فإن هذا يكون رداً على صاحبه، لا يقبله الله منه، إذ إن شرطي قبول العمل الصالح: أن يكون العمل خالصاً لله، وأن يكون موافقاً لهدي رسول الله ﷺ.

### معاني الكلمات:

الأعمال: أي الأعمال الشرعية المفقرة إلى النية.

بالنيات: جمع نية، وهي عزم القلب.

**واصطلاحاً:** القصد للعمل تقرباً لله.

وإنما لكل امرئ ما نوى: فمن نوى بعمله شيئاً حصل له ما نواه.

امرئ: (المرء) الإنسان.

هجرته: انتقاله من دار الشرك إلى دار الإسلام.

إلى الله ورسوله: بأن يكون قصده بالهجرة طاعة الله عز وجل ورسوله صلى

الله عليه وسلم .

فهجرته إلى الله ورسوله: ثواباً وأجرًا. لدنيا: من الدنو، أي: القرب، سميت بذلك لسبقها للأخرى، أو لدنوها إلى الزوال، وهي ما على الأرض مع الهواء والجو مما قبل قيام الساعة، وقيل: المراد بها هنا المال؛ بقريظة عطف المرأة عليها.

يصيبها: يُحصِّلُها.

ينكحها: يتزوجها.

فهجرته إلى ما هاجر إليه كائنًا ما كان.

#### من فوائد الحديث:

- الحث على الإخلاص، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما ابتغي به وجهه.
- الأفعال التي يتقرب بها إلى الله عز وجل إذا فعلها المكلف على سبيل العادة لم يترتب الثواب على مجرد ذلك الفعل، وإن كان صحيحًا، حتى يقصد بها التقرب إلى الله.
- فضل الهجرة إلى الله ورسوله، وأنها من الأعمال الصالحة؛ لأنها يقصد بها الله.
- هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، ولهذا قال العلماء: مدار الإسلام على حديثين، هما: هذا الحديث، وحديث عائشة رضي الله عنها: «مَنْ

- عَمَلٌ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ<sup>(١)</sup>، فهذا الحديث عمدة أعمال القلوب، فهو ميزان الأعمال الباطنة، وحديث عائشة عمدة أعمال الجوارح.
- يجب تمييز العبادات بعضها عن بعض، والعبادات عن المعاملات، وأنه لا يفرّق بين الأعمال المتشابهة في الصورة إلا النّية.
  - العمل الخالي عن القصد لغوٌ لا يترتب عليه حكم ولا جزاء.
  - من أخلص في عمله حصل له مراده حكماً وجزاءً، فعمله يكون صحيحاً، ويترتب عليه الثواب إذا تحققت شروط العمل.
  - حبوط العمل بعدم الإخلاص لله.
  - تحقير الدنيا وشهواتها، لقوله: (فهجرته إلى ما هاجر إليه) حيث أبهم ما يحصل لمن هاجر إلى الدنيا، بخلاف من هاجر إلى الله ورسوله فإنه صرح بما يحصل له، وهذا من حسن البيان وبلاغة الكلام.

(١) رواه البخاري (٦٩-٣) ومسلم (١٣٤٣-٣).

## الحديث الثاني:

### عفاف السمع والبصر والقلب والفرج

ولذا من السنة الاستعاذة من شرّ السمع والبصر والقلب والفرج.

عن شَكْلِ بْنِ حُمَيْدٍ، رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، عَلِّمْنِي دعاء، قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شرّ سمعي، ومن شرّ بصري، ومن شرّ لساني، ومن شرّ قلبي، ومن شرّ منِّي» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

#### الشرح:

في هذا الحديث يذهب شكل بن حميد رضي الله عنه إلى النبي ﷺ باحثاً عن خيري الدنيا والآخرة، إنه لم يطلب من النبي ﷺ دنيا فانية، ولا حفنة من مال، ولا صاعاً من طعام، ولكنه ذهب يطلب الدعاء، يريد من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه دعاء ينتفع به في دينه ودنياه، فهذه هي حقيقة الصحابة: يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، فأرشد النبي ﷺ إلى هذا الدعاء العظيم الجليل، فقال له: (قل: اللهم إني): دعا الله تعالى وتوجّه إليه باسمه الجامع لكل أسماء الله الحسنی (الله)،

(١) رواه أبو داود (٢-٩٢)، برقم (١٥٥١). والترمذي، (٥-٥٢٣) برقم (٣٤٩٢). والنسائي، برقم (٥٤٤٤).

(أعوذ بك من شرِّ سمعي): أعوذ أي: أحتمي بالله تعالى من شر السمع، وهو ما يقع فيه سمع الإنسان من المحرمات؛ كشهادة الزور، وكلام الكفر والبهتان، والانتقاص من الدين، وسائر ما يصل إلى سمع الإنسان من المحرمات.

(ومن شرِّ بصري): وهو أن يستعمله في النظر إلى المحرمات من الأفلام الخليعة، والمناظر القبيحة.

(ومن شرِّ لساني): أي ومن كل محرم قد يخرج من اللسان؛ كشهادة الزور، والسب، واللعن، والانتقاص من الدين وأهله، أو التكلم فيما لا يعني الإنسان، أو ترك الكلام فيما يعنيه.

(ومن شرِّ قلبي): وهو أن يعمر القلب بغير ذكر الله تعالى، أو أن يتوجه إلى غير الله تعالى بالعبادات القلبية؛ من الرجاء والخوف، والرغبة، والتعظيم، أو يترك ما يجب عليه من صرف العبادات القلبية للرب سبحانه وتعالى .

(ومن شر منِّي): أي ومن شر الفرج، وهو أن يقع فيما حرم الله عليه، أو يوقعني في مقدمات الزنا؛ من النظر، واللمس، والمشى، والعزم، وأمثال ذلك، فهذا الدعاء المبارك فيه حفظ الجوارح والتي هي من نعم الله تعالى، والنبى ﷺ إنما أمره هنا أن يستعيذ بالله من شر هذه النعم، ولم يأمره أن يستعيذ من هذه النعم، كأن يقول: "أعوذ بالله من سمعي"، لأن هذه نعم، وبها يعبد الله تعالى، فليست هي شر محض حتى يستعاذ منها، ولكن يستعاذ من الشر الذي

قد يتولد عنها، وحفظها يكون برعاية ما خلقت له، وأن لا يباشر بها معصية، ولا ينشر بها رذيلة، لأنه مسؤول يوم القيامة عن هذه النعم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

### معاني الكلمات:

اللَّهُمَّ: يا الله. أعوذ: ألتجئ وأحتمي.

شر سمعي: أي: بأن أسمع كلام الزور والبهتان والغيبة وسائر ما حرم الله تعالى سمعه، أو أن لا أسمع الحق.

شر بصري: وذلك بالنظر إلى عورات الناس أو إلى ما حرم الله تعالى.

شر قلبي: بأن أشغله بغير ذكر الله تعالى.

شر لساني: هو التكلم بالباطل، أو ما لا يعنيني، أو السكوت عن الحق.

شر مني: المنى: ما يخرج من الرجل من ماء بشهوة ولذة، والمراد هنا الفرج كما ورد عند الترمذي، ويكون شره إذا وضعه في غير محله المشروع.

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

من فوائد الحديث:

- الحث على حفظ السمع والبصر واللسان والقلب والفرج، وذلك باستعمالها فيما يرضي الله تعالى.
- التنويه بمسؤولية الإنسان عن حواسه كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(١)</sup>.
- حواس الإنسان وأعضاؤه نعم ينبغي على العبد شكر الله تعالى عليها بوضعها فيما خلقت له، وبذلك يحقق العبودية لله سبحانه وتعالى.
- قول شكل بن حميد رضي الله عنه: (قلت: يا رسول الله، علمني دعاء) يدل على حرص الصحابة على كل ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويبين أنهم أصحاب همة عالية، لمحافظتهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل.
- خصّ النبي ﷺ هذه الجوارح بالدعاء لأنها مناط الشهوة ومثار اللذة.

(١) سورة الإسراء، ٣٦.

## الحديث الثالث:

الرفق في الأمور كلها

روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم: أن النبي ﷺ قال لها رضي الله عنها: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»<sup>(٣)</sup>.

ويروي جرير بن عبد الله رضي الله عنهما -كما في صحيح مسلم- عن النبي ﷺ أنه قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم، (٤ - ٢٠٠٤) برقم (٢٥٩٤).

(٢) رواه البخاري (٨-١٢) ومسلم (١-١٧٠٦).

(٣) رواه مسلم (٤-٢٠٠٣).

(٤) رواه مسلم (٤-٢٠٠٣) برقم (٢٥٩٢).

الشرح:

هذه النصوص الشريفة تدل على أهمية الرفق، وخلقٌ جاءت فيه مثل هذه النصوص لا شك أن له ثمرة بينة ونفعًا ظاهرًا.

وأحوج الناس أن يمتثلوا لهذه الوصية النبوية هم المعلمون، والمصلحون، والدعاة إلى الله، وكل ساعٍ لنفع الناس في دينهم أو دنياهم، فإن كثرة اختلاطهم بالناس مع حرصهم على بذل الخير لهم ودفع الشر عنهم قد يسمعهم من الأقوال أو يرون من المواقف أو النتائج ما يحتاجون معه دائماً إلى أن يُذكروا بهذا الخلق النبوي الشريف.

والرفق في حقيقة الأمر ليس متعلقاً بالاستجابة لموقفٍ محددٍ يصبر فيه المصلح ويحتسب، بل هو صفة عميقة في النفس تؤثر على أصل معاملة الشخص للناس، وتؤثر في طبيعة نظره للمواقف والنتائج، فالرفق في شخصية المصلح خلق أساسي وليس مجرد مواقف معينة يلتزم فيها بالرفق.

المصلح الرفيق يتلطف في خطابه، وينتقي أحسن الكلام، ويحتمل الأذى من الناس، ويغلب العفو والصفح، ويراعي حاجات الناس، ويتدرج في التعليم والإصلاح، ويتجنب ما يثير الشقاق والاختلاف، ويسعى لتأليف النفوس وجمع الكلمة، ويتعالى عن الحظوظ الشخصية والمصالح الضيقة، ويوازن بين المصالح والمفاسد. ولا عجب أن من كانت هذه حاله تجد لدعوته وإصلاحه أثراً بيئاً عند الناس، فإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على غيره.

وإني بسبب هذا الخلق الكريم الرفق أنصح جميع نساء المسلمين من أرادت الحياة الطيبة والسعادة الأبدية والراحة النفسية أنصحها نصيحتين:

**الأولى:** عدم التشغيب على زوجها، ولا ترد عليه أبداً، ولا ترفع صوتها عليه لاسيما عند غضبه.

**الثانية:** أي شيء يوصله للبيت فممنوع منعاً باتاً النقد، بل تقول: ما شاء الله، الله يفتح عليك، ويكثر خيرك ورزقك، ولو أتى بتراب وحجارة للبيت تستقبله بالشكر له والدعاء له ولوالديه.

لو تجرّب المرأة هذا فسوف ترى علاجاً سحرياً، وسوف ترتاح ويكون بيتها بحبوحة مباركة من السكون وراحة البال.

## الحديث الرابع:

الراحة النفسية والسعادة الأبدية بالرضا  
بقضاء الله وقدره

عن صُهيْب بن سِنَان الرُّومِي رضي الله عنه مرفوعاً: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» [صحيح] (١).

### الشرح:

أظهر الرسول ﷺ العَجَبَ على وجه الاستحسان لشأن المؤمن؛ لأنه في أحواله وتقلباته الدنيوية لا يخرج عن الخير والنجاح والفلاح، وهذا الخير ليس لأحد إلا للمؤمن.

ثم أخبر ﷺ أن المؤمن على كل حال قدره الله عليه على خير، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله؛ فكان ذلك خيراً له. وإن أصابته سرّاء من نعمة دينية؛ كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية؛ كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عز وجل، فيشكر الله فيكون خيراً له.

(١) رواه مسلم (٤ - ٢٢٩٥) برقم (٢٩٩٩).

### معاني الكلمات:

عَجَبًا: والتعجب إنما يحصل للإنسان من عظم موقع الشيء وخفاء سببه عليه.  
أمره: شأنه.

المؤمن: الكامل الإيمان، وهو العالم بالله الراضي بأحكامه، العامل على تصديق مواعده.

سرّاء: ما يسر الإنسان.

شكر: عرف قدر نعمة الله عليه.

ضرّاء: ما يضر البدن، أو ما يتعلق به من أهل أو ولد أو مال.

صبر: احتسب عند الله ثوابه ورضي به.

### من فوائد الحديث:

- فضل الشكر على السرّاء والصبر على الضرّاء، فمن فعل ذلك حصل له خير الدارين، ومن لم يشكر على النعمة، ولم يصبر على المصيبة، فاتته الأجر، وحصل له الوزر.

- حياة المسلم بما فيها من مسرّة ومضرة كلها خير وأجر عند الله.

- المؤمن الكامل يشكر الله تعالى في السرّاء، ويصبر على الضرّاء، فينال خير الدارين، أما ناقص الإيمان فإنه يتضجّر ويتسخط من المصيبة، فيجتمع عليه

المصيبة ووزر سخطه، ولا يعرف للنعمة قدرها، فلا يقوم بحققها ولا يشكرها،  
فتنقلب النعمة في حقه نعمة.

- الأجر في كل حال لا يكون لغير أهل الإيمان.

- في الحديث الحث على الإيمان، وأن المؤمن دائماً في خير ونعمة.

- الحث على الشكر عند السراء؛ لأنه إذا شكر الإنسان ربه على نعمة فهذا من  
توفيق الله له، وهو من أسباب زيادة النعم.

- الحث على الصبر على الضراء، وأن ذلك من خصال المؤمنين.

## الحديث الخامس:

### خطورة الرياء

عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ»، فسئل عنه، فقال: «الرِّيَاءُ» [حسن] (١).

#### الشرح:

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث أنه يخاف علينا، وأكثر ما يخاف علينا من الشرك الأصغر، وذلك لما اتّصف به ﷺ من كمال العطف والرحمة بأمتة، والحرص على ما يصلح أحوالهم، ولما عرفه من قوة أسباب الشرك الأصغر

(١) حديث حسن، أخرجه الإمام أحمد (٤٢٨/٥-٤٢٩)، وعمرو هو ابن أبي عمرو، حسن الحديث لكنه لم يسمع من أحد من الصحابة، ولكن قد وصل في غير هذه الطريق عند البيهقي في الشعب (٦٨٣١)، والبغوي في شرح السنة (١٤ / ٣٢٣-٣٢٤) من وجهين مختلفين عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمر بن قتادة الظفري وهو ثقة، عن محمود بن لبيد، به. فيكون الحديث حسناً. ثم جاء للحديث طريق آخر عند ابن أبي شيبة (٤٨١/٢)، وابن خزيمة برقم (٩٣٧)، من طريق أبي خالد الأحمر، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد به، بلفظ: «إياكم وشرك السرائر»، قالوا: وما شرك السرائر؟ قال: «أن يقوم أحدكم يزين صلاته جاهداً لينظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر». وإسناده حسن أيضاً كما في السلسلة الصحيحة برقم (٩٥١). والله أعلم.

الذي هو الرياء وكثرة دواعيه، فربما دخل على المسلمين من حيث لا يعلمون فيضرب بهم؛ لذا حذرهم منه وأنذرهم.

### معاني الكلمات:

أخوف ما أخاف عليكم: أشد شيء أخافه عليكم.

الشرك الأصغر: الذي لا يخرج من الإسلام.

الرياء: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدونه عليها.

الخوف: الشفقة.

### من فوائد الحديث:

- أن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال.

- الحذر من الرياء ومن الشرك عموماً.

- شدة شفقتة ﷺ على أمته وحرصه على هدايتهم ونصحه لهم.

- أن الشرك ينقسم إلى أكبر وأصغر، فالأكبر هو أن يسوي غير الله بالله فيما

هو من خصائص الله، والأصغر هو ما أتى في النصوص أنه شرك ولم يصل

إلى حد الأكبر، والفرق بينهما:

**أ.** أن الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

**ب.** أن الأكبر يخلد صاحبه في النار، والأصغر لا يوجب الخلود في النار.

ج. أن الأكبر ينقل عن الملة، والأصغر لا ينقل عن الملة.

## الحديث السادس:

صلة الرحم لوجه الله ليست مبادلة ومعاوضة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافي، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» [صحيح] (١).

### الشرح:

معنى قوله ﷺ: (ليس الواصل بالمكافي) أي: ليس الإنسان الكامل في صلة الرحم والإحسان إلى الأقارب هو الشخص الذي يقابل الإحسان بالإحسان، بل الواصل حقيقة الكامل في صلة الرحم هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، حتى لو أسأوا إليه، ثم قابل الإساءة بالإحسان إليهم، فهذا هو الواصل حقاً. فعلى الإنسان أن يصبر ويحتسب على أذية أقاربه وجيرانه وأصحابه وغيرهم ، فلا يزال له من الله ظهير عليهم، وهو الراجح وهم الخاسرون. وصلة الرحم تكون بالمال، والعون على الحاجة، ورفع الضرر، وطلاقة الوجه، والدعاء لهم، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وقد أكد الإسلام كثيراً على صلة الرحم، إلا أنه لا يعدّ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافي، (٨ / ٦)، برقم (٥٩٩١).

من القطيعة من ترك صلة الرحم من باب الهجر الوقائي أو الردعي؛ كمن رأى المصلحة في ترك الصلة رجاء أن يعود رحمه إلى جادة الصواب وترك المخالفات الدينية، أو خاف على نفسه وأهله أنه متى وصل رحمه وهم على تلك المخالفات الشرعية، لربما انتقلت العدوى إليه وإلى من تحت يده.

### معاني الكلمات:

الواصل: كامل الصلة لأقاربه.

المكافئ: الذي يكافئهم على صلتهم له.

رحمه: قرابته. وصلها: برّها وأحسن إليها.

### من فوائد الحديث:

- الحث على صلة الأرحام.
- وجوب إخلاص الأعمال لله، ولو لم يأت منها خير عاجل في الدنيا، فهي خير دائم في الآخرة.
- الإساءة للمسلم لا تجعله يقطع الخير عن المسيء.
- صلة الرحم المعتبرة شرعاً أن تصل من قطعك، وتعفو عن ظلمك، وتعطي من حرمك، وليست صلة المقابلة والمجازاة.

- في الحديث بيان : أن الصلة إذا كانت نظير مكافأة من الطرف الآخر لا تكون صلة كاملة، لأنها من باب تبادل المنافع، وهذا مما يستوي فيه الأقارب والأباعد.

- يستحب في معاملة الأقارب مقابلة الإساءة بالإحسان.

## الحديث السابع:

### تفسير الحياء من الإيمان

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ :  
«الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

#### الشرح:

الحياء من الإيمان؛ لأن المستحي يُقْلَعُ بحيائه عن المعاصي، ويقوم بالواجبات، وهذا من تأثير الإيمان بالله تعالى إذا امتلأ به القلب، فإنه يمنع صاحبه من المعاصي ويحثه على الواجبات، فصار الحياء بمنزلة الإيمان من حيث أثر فائدته على العبد.

#### معاني الكلمات:

الحياء: هو خلق يبعث على فعل الحسن، وترك القبيح.

#### من فوائد الحديث:

- الحث على التخلق بخلق الحياء كونه من الإيمان.
- أن الحياء: هو خلق يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح.

(١) رواه البخاري (١٤/١)، برقم (٢٤). ومسلم (١-٦٣) برقم (٣٦).

## الأبغوز حديثاً في كتاب الأخلاق

- أن ما يمنعك من الخير لا يسمى حياء؛ بل يسمى خجلاً وعجزاً وذلاً وخوراً وجبناً.

- أن الحياء قد يكون من الله؛ ويكون بفعل المأمورات، وترك المحظورات، وقد يكون الحياء من الخلق؛ ويكون باحترامهم، وإنزالهم منازلهم.



## الحديث الثامن:

كن مبشراً وإياك والتعسير والتنفير

عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا،  
وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

### الشرح:

كان النبي ﷺ يحب التخفيف واليسر على الناس، فما خَيْرٌ ﷺ بين أمرين قط إلا  
اختار أيسرهما ما لم يكن محرماً،

فقوله: (يسرّوا ولا تعسّروا) أي: في جميع الأحوال .

وقوله: (وبشّروا ولا تنفّروا) البشارة هي الإخبار بالخير عكس التنفير، ومن  
التنفير الإخبار بالسوء والشر.

### معاني الكلمات:

بشّروا: من البشارة وهي الإخبار بخير.

ولا تنفّروا: ولا تباعدوهم عن الخير وتصرفوهم عنه.

يسرّوا: أي: سهّلوا.

(١) رواه البخاري (١ - ٢٥) برقم (٦٩). ومسلم (٣ - ١٣٥٩) برقم (١٧٣٤).

ولا تعسروا: أي: ولا تضيقوا.

من فوائد الحديث:

- واجب المؤمن أن يحبب الناس بالله ويرغبهم في الخير.
- ينبغي للداعي إلى الله أن ينظر بحكمة إلى كيفية تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس.
- التبشير يولد السرور والإقبال والاطمئنان للداعي ولما يعرضه على الناس.
- التعسير يولد النفور والإدبار والتشكيك في كلام الداعي.
- سعة رحمة الله بعباده، وأنه رضي لهم ديناً سمحاً وشرعية ميسرة.

## الحديث التاسع:

### الراحمون يرحمهم الرحمن

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يبلغ به النبي ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، أَرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ» [صحيح] (١).

#### الشرح:

(الراحمون) الذين يرحمون من في الأرض من آدمي وحيوان محترم بشفقة وإحسان ومواساة، (يرحمهم الرحمن) من الرحمة وهي مفهومة، ومن ذلك أن يحسن إليهم ويتفضل عليهم، والجزاء من جنس العمل، (ارحموا من في

(١) هذا هو حديث الرحمة المشهور المسلسل بالأولية، والذي رواه عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مؤلى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». والحديث رواه أحمد في مسنده (٦٤٩٤)، وأبو داود في جامعه (٤٩٤١) وسكت عنه -وقد قال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح-، والترمذي في سننه (١٩٢٤) وقال: حسن صحيح، وقال ابن حجر في الإمتاع (١/ ٦٢): حسن، وقال في الفتح (٣/ ١٨٨): ثابت، وقال السخاوي في البلدانيات (٤٧): حسن؛ بل صححه غير واحد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٥) وقال: رجاله ثقات، وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٦) وقال: فيه أبو قابوس مقبول في المتابعات، وقد توبع عليه، وباقي رجاله ثقات، وصححه غير واحد من العلماء، وله شواهد، فهو حديث صحيح بلا شك، وهو مشهور، والحمد لله رب العالمين.

الأرض) أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق، فيرحم البرّ والفاجر والوحوش والطير،

(يرحمكم من في السماء) أي: يرحمكم الله تعالى الذي في السماء، ولا يجوز تأويله بأن المراد من في السماء: ملكه وغير ذلك؛ فإن علو الله على خلقه ثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وليس المراد بقولنا: "الله في السماء" أن السماء تحويه وأنه داخل فيها، تعالى الله عن ذلك، بل "في" بمعنى "على" أي: فوق السماء عالٍ على جميع خلقه.

من فوائد الحديث:

- الرحمة مقيدة باتباع الكتاب والسنة، فإقامة الحدود والانتقام لحرمة الله لا ينافي كل منهما الرحمة.
- الله في السماء عالٍ على جميع خلقه.
- إثبات صفة الرحمة لله تعالى.

## الحديث العاشر:

### صلة الرحم تزيد في العمر والرزق

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أحب أن يبسط عليه في رزقه، وأن ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه» [صحيح] (١).

#### الشرح:

في هذا الحديث حث على صلة الرحم، وبيان بعض فوائدها بالإضافة لتحقيق رضا الله تعالى، فإنها سبب أيضاً للثواب العاجل بحصول أحب الأمور إلى العبد، وأنها سبب لبسط رزقه وتوسيعه، وسبب لطول العمر.

وظاهر الحديث قد يتعارض عند بعض الناس مع قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (٢).

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، (٨ / ٥)، برقم (٥٩٨٦).  
ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، (٤ / ١٩٨٢)، برقم (٢٥٥٧).

(٢) سورة المنافقون، الآية ١١.

فالجواب: أنّ الأجل محدّد بالنسبة إلى كل سبب من أسبابه، فإذا فرضنا أن الشخص حدّد له ستون عامًا إن وصل رحمه، وأربعون إن قطعها؛ فإذا وصلها زاد الله في عمره الذي حدّد له إذا لم يصل.

### معاني الكلمات:

يُبَسِّطُ: يوسع.

يُنَسِّأُ: يؤخر.

أثره: (الأثر) الأجل.

فليصل رحمه: (صلة الرحم) الإحسان إلى الأقربين؛ سواء بالزيارة، أو الإكرام البدني، أو بالمال عند حاجته، وغير ذلك بحسب العرف.

### من فوائد الحديث:

- الحث والحرص على صلة الرحم.
- صلة الرحم سبب قوي جعله الله في سعة رزق الواصل وطول عمره.
- الجزاء من جنس العمل، فمن وصل رحمه بالبر والإحسان؛ وصله الله في عمره ورزقه.
- إثبات الأسباب؛ لأن الرسول ﷺ أثبت سبباً -وهو: صلة الرحم- ومسبباً -وهو: طول الأجل وسعة الرزق-.

الأبغون حديثاً في كتاب الأخلاق

الأبغون حديثاً في كتاب الأخلاق

## الحديث الحادي عشر:

الصدق سبب في نجاح الدنيا والآخرة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق؛ حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب؛ حتى يكتب عند الله كذاباً» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

### الشرح:

حث النبي ﷺ على الصدق وملازمته وتحريره، وبيان ثمرته وعاقبته الحميدة في الدنيا والآخرة، فالصدق أصل البر الذي هو الطريق إلى الجنة، والرجل إذا لزم الصدق كتب مع الصديقين عند الله تعالى، وفي ذلك إشعار بحسن الخاتمة، وإشارة إلى أنه يكون مأمون العاقبة.

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب (٥ / ٢٢٦١)، برقم (٥٧٤٣).  
ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤ / ٢٠١٢)، برقم (٢٦٠٧).

وحذر النبي ﷺ من الكذب، وبين مضرته وشؤم عاقبته، فهو أصل الفجور الذي هو طريق إلى النار.

### معاني الكلمات:

عليكم بالصدق: أي الزموا الصدق، والصدق: هو ضد الكذب، وهو الإخبار بالشيء على وفق الواقع.

البر: البر اسم جامع للخير كله؛ من فعل الحسنات وترك السيئات، ويطلق على العمل الصالح الدائم المستمر معه إلى الموت.

يتحرى الصدق: أي يقصده ويعتني به.

حتى يكتب: أي حتى يحكم له بهذا الوصف وينال مثل ما ينالون.

يكذب: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما في الواقع.

الفجور: هو اسم جامع للشر، ويطلق على الانبعاث في المعاصي غير مكترث بممارسة الفسق والفساد.

كذاباً: هو من يتكرر منه الكذب حتى يعرف به ويصير له سجية وخلقاً.

### من فوائد الحديث:

- أن للجنة أعمالاً توصل إليها؛ منها الصدق، وأن للنار أعمالاً توصل إليها؛ منها الكذب.

- الأمر بالصدق لأنه يدل ويوصل إلى البرّ الذي هو جماع الخير، والبر هو الطريق المستقيم للجنة.
- أن الصدق خلق كريم يحصل بالاكتساب والمجاهدة، فإن الرجل ما يزال يصدق ويتحرى الصدق حتى يكون الصدق سجية له وطبعاً، فيكتب عند الله من الصديقين والأبرار.
- أن الكذب خلق ذميم يكتسبه صاحبه من طول ممارسته وتحرّيه قولاً وفعلاً، حتى يصبح خُلُقاً وسجية، ثم يكتب عند الله تعالى كثير الكذب عديم الصدق.
- أن الكذب يوصل إلى الفسق والفجور، فتصير أقواله وأعماله كلها على خلاف الحقيقة، خارجة عن طاعة الله، والخروج عن طاعته هو الهاوية التي تقود صاحبها وتزج به في النار.

## الحديث الثاني عشر:

### شهادة الزور جريمة كبرى

عن أبي بكرَةَ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» - ثَلَاثًا - قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَعْقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ، وَقَالَ: - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. [صحيح] (١).

#### الشرح:

أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: (ألا أنبئكم أي أخبركم بأكبر الكبائر؟) فذكر هذه الثلاث التي هي الإشراك بالله، وهو اعتداء على مقام الألوهية، وأخذ لحقه سبحانه وتعالى وإعطائه لمن لا يستحقه من المخلوقين العاجزين، وعقوق الوالدين ذنب فظيع؛ لأنه مكافأة للإحسان بالإساءة لأقرب الناس، وشهادة الزور عامّة لكل قول مُزوّر ومكذوب، يراد به انتقاص من وقع عليه بأخذ شيء من ماله أو اعتداء على عرضه أو نحو ذلك.

(١) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، برقم (٢٦٥٤)، وبرقم (٥٩٧٦)، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر. ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٨٧).

معاني الكلمات:

ألا أنبئكم: ألا أخبركم.

الإشراك بالله: هو اتخاذ العبد من دون الله نداءً يسويه برب العالمين.

وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ: الإساءة إليهما.

لَيْتَهُ سَكَتَ: تَمَنِّيْنَا أَنْ يَسْكُتَ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ لِمَا رَأَيْنَا مِنْ أَنْزَعَاةِ.

من فوائد الحديث:

يؤخذ من هذا الحديث:

- إبلاغ الأحكام الشرعية بطريقة العرض "ألا أنبئكم".

- أن أعظم الذنوب الشرك بالله، لأنه جعله صدر الكبائر وأكبرها، ويؤكد هذا

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

- عظم حقوق الوالدين، إذ قرن حقهما بحق الله تعالى.

- خطورة شهادة الزور، وأثارها السيئة على حياة المجتمع المسلم؛ سواء على

المستوى الأخلاقي أو غير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية.

(١) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

الأبْعُوذُ خَدِيثًا فِي مَكَامِلِ الْإِخْلَاقِ

الأبْعُوذُ خَدِيثًا فِي مَكَامِلِ الْإِخْلَاقِ

## الحديث الثالث عشر:

### تحريم الخيلاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «بينما رجل يمشي في حلة تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَيْهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [صحيح] (١).

#### الشرح:

أخبر النبي ﷺ أن رجلاً كان يمشي متكبراً وهو يلبس ثياباً حسنة، وممشط شعره، فخسف الله به الأرض، فانهارت به الأرض وانغمس فيها واندفن، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة؛ لأنه والعياذ بالله لما صار عنده هذا الكبرياء وهذا التيه وهذا الإعجاب خسف به.

وقوله: (يتجلجل في الأرض) يحتمل أنه يتجلجل وهو حي حياة دنيوية، فيبقى هكذا معذباً إلى يوم القيامة، معذباً وهو في جوف الأرض وهو حي، فيتعذب كما يتعذب الأحياء، ويحتمل أنه لما اندفن مات كما هي سنة الله عز وجل، مات ولكن مع ذلك يتجلجل في الأرض وهو ميت، فيكون تجلجله هذا تجلجلاً برزخياً لا نعلم كيفيته، والله أعلم، المهم أن هذا جزاؤه والعياذ بالله.

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، برقم (٥٧٨٩). ومسلم في اللباس والزينة، باب تحريم التبخر في المشي مع إعجابه بثيابه، برقم (٢٠٨٨).

معاني الكلمات:

حُلَّة: إزار ورداء، ولا تسمى بذلك إلا إذا كانت ثوبين.

يختال: يتكبر.

خسف الله به: غيَّبه في الأرض.

مرجّل رأسه: أي: ممشطه.

يتجلجل: أي: يغوص وينزل.

من فوائد الحديث:

- حرمة الكبر والخيلاء، وسوء عاقبة من اتصف بهما.
- المبالغة في الملبس والتأنق يدخل في نفس العبد الاختيال والعجب، ولكن التجمّل دون مبالغة ودون عجب جائز.
- إثبات عذاب القبر.

## الحديث الرابع عشر:

### المحافظة على أمور الدين وسد ذرائع الحرام

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور مُشْتَبِهَاتٌ لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشُّبُهَاتِ فقد استَبْرَأَ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبُهَاتِ وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل مَلِكِ حِمَى، ألا وإن حِمَى اللَّهِ محارمه، ألا وإن في الجسد مُضْغَةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» [صحيح] (١).

### الشرح:

القاعدة العامّة أن ما أحلّه الله ورسوله، وما حرّمه الله ورسوله، كل منهما بيّن واضح، وإنما الخوف على المسلم من الأشياء المشتبهة، فمن ترك تلك الأشياء المشتبهة عليه سلّم دينه بالبعد عن الوقوع في الحرام، وتم له كذلك صيانة

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشبهات (٣ / ٥٣)، برقم (٢٠٥١). ومسلم، كتاب الطلاق، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣ / ١٢١٩)، برقم (١٥٩٩).

عرضه من كلام الناس بما يعيبون عليه بسبب ارتكابه هذا المشتبه. ومن لم يجتنب المشتبهات فقد عرض نفسه إما إلى الوقوع في الحرام، أو اغتياب الناس له ونيلهم من عرضه. وضرب الرسول ﷺ مثلاً لمن يرتكب الشبهات كراع يرعى إبله أو غنمه قرب أرض قد حماها صاحبها، فتوشك ماشية ذلك الراعي أن ترعى في هذا الحمى لقربها منه، فكذلك من يفعل ما فيه شبهة، فإنه بذلك يقترب من الحرام الواضح، فيوشك أن يقع فيه.

وأشار النبي ﷺ إلى أن الأعمال الظاهرة تدل على الأعمال الباطنة من صلاح أو فساد، فبين أن الجسد فيه مضغة (وهي القلب) يصلح الجسد بصلاحها، ويفسد بفسادها.

### معاني الكلمات:

الحلال: وهو ما نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون على جوازه، أو لم يعلم فيه منع.

بيّن: ظاهر.

الحرام: ما نص أو أجمع على تحريمه، أو على أن فيه حدًّا أو تعزيراً أو وعيداً.

أمور: شؤون وأحوال.

مشتبهات: ليست بواضحة الحل ولا الحرمة.

لا يعلمهن كثير من الناس: لا يدري كثير من الناس ما حكمها.

اتقى الشبهات: تركها وحذر منها.

استبرأ لدينه: طلب السلامة له من الذم الشرعي.

عرضه: (العرض) موضع المدح والذم من الإنسان، والمقصود هنا: أن

يصون نفسه عن كلام الناس فيه بما يشينه ويعيبه.

حول الحمى: المكان المحمي المحظور عن غير مالكة، ويتوعد من دخل إليه

أو قرب منه بالعقوبة الشديدة.

يوشك: يقرب ويسرع.

يرتع فيه: بفتح التاء، يدخله وتأكل ماشيته منه فيعاقب.

صلحت: استقامت بفتح اللام وضمها، والفتح أشهر، وقيد بعضهم الضم

بالصلاح الذي صار سجيّة.

محارمه: جمع محرم، وهو فعل المنهي عنه، أو ترك المأمور به الواجب.

مضغة: قطعة لحم.

من فوائد الحديث:

- الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام والشبهات.

- للشبهات حكم خاص بها، عليه دليل شرعي يمكن أن يصل إليه بعض الناس

وإن خفي على الكثير.

## الأبغوز خديشا في مكارم الأخلاق

- من لم يتوقَّ الشبهة في كسبه ومعاشه وسائر معاملاته فقد عرض نفسه للطعن فيه.
- التنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على إصلاحه، فإنه أمير البدن، بصلاحه يصلح، وبفساده يفسد.
- تقسيم الأشياء من حيث الحل والحرمة إلى ثلاثة أقسام: حلال بيّن، وحرام بيّن، ومشتبه.
- المحافظة على أمور الدين ومراعاة المروءة.
- سد الذرائع إلى المحرمات، وأدلة ذلك في الشريعة كثيرة.
- ضرب الأمثال للمعاني الشرعية العملية.

## الحديث الخامس عشر:

### ذم الاستكثار من الدنيا

عن عبد الله بن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن الزبير وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم، أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» [صحيح] (١).

#### الشرح:

أخبر النبي ﷺ أنه لو حصل لابن آدم وادٍ مملوء ذهباً لأحب -من حرصه الذي هو طبعه- أن يكون له واديان آخران، وأنه لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره.

#### معاني الكلمات:

واديًا من ذهب: ملء واد من ذهب.

والوادي: كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام.

(١) حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه متفق عليه رواه البخاري (٨-٩٢) ومسلم (٢-٧٢٥). . حديث أنس بن مالك رضي الله عنه متفق عليه البخاري (٨-٩٣) ومسلم (٢-٧٢٥). حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه رواه البخاري (٨-٩٣). حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه رواه مسلم (٢-٧٢٦).

ولن يملأ جوفه إلا التراب: أي: لا يزال حريصاً حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره.

ويتوب الله على من تاب: الله يقبل توبة كل من تاب إليه.

### من فوائد الحديث:

- شدة حرص الإنسان على جمع المال وغيره من متاع الدنيا.
- ذم الاستكثار من المال وتمني ذلك والحرص عليه.
- يقبل الله تعالى توبة من تاب من الصفات المذمومة.

## الحديث السادس عشر: تحريم سبّ الأموات

عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «لا تسبّوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

### الشرح:

الحديث دليل على تحريم سبّ الأموات والوقوع في أعراضهم، وأن هذا من مساوئ الأخلاق، وحكمة النهي جاءت من قوله في بقية الحديث: (فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا) أي: وصلوا إلى ما قدموه من أعمالهم صالحة أو طالحة، وهذا السب لا يبلغهم وإنما يؤذي الأحياء.

### معاني الكلمات:

أفضوا إلى ما قدّموا: صاروا إلى ما قدّموا من أعمالهم.

### من فوائد الحديث:

- الحديث دليل على تحريم سبّ الأموات، وعمومه يفيد أنه سواء أكانوا مسلمين أم كفاراً.

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سبّ الأموات، (٢- ١٠٤) برقم (١٣٩٣).

## الأبغون حديثاً في كتاب الأخلاق

- يستثنى من النهي عن سب الأموات إذا كان في ذكر معائبهم فائدة.
- الحكمة من النهي عن سبهم جاءت في الحديث، وهي أنهم وصلوا إلى ما قدّموا من خير أو شر، فلا ينفع سبّهم، وأيضاً لما فيه من إيذاء أقاربه الأحياء.
- أنه لا ينبغي للإنسان أن يقول ما لا فائدة فيه.



## الحديث السابع عشر:

تحريم التسخّط من أقدار الله مهما كانت

عن أبي موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاققة» [صحيح] (١).

### الشرح:

الله سبحانه وتعالى الحكمة التامة والتصرف الرشيد فيما أخذ وما أعطى، ومن عارض في هذا ومانعه فكأنما يعترض على قضاء الله وقدره الذي هو عين المصلحة والحكمة، وأساس العدل والصلاح، ولذا فإن النبي ﷺ ذكر أنه من تسخّط وجزع من قضاء الله فهو على غير طريقته المحمودة، وسنته المنشودة، إذ قد انحرفت به الطريق إلى ناحية الذين إذا مسهم الشرّ جزعوا وهلعوا؛ لأنهم متعلقون بهذه الحياة الدنيا، فلا يرجون بصبرهم على مصيبتهم ثواب الله ورضوانه. فهو بريء ممن ضعف إيمانهم؛ فلم يحتملوا وقع المصيبة حتى أخرجهم ذلك إلى التسخّط القلبي، أو القولي؛ بالنياحة والندب والدعاء بالويل والثبور، أو الفعلي؛ كنتف الشعور وشق الجيوب، إحياء لعادة الجاهلية. وإنما أولياؤه الذين إذا أصابتهم مصيبة سلّموا بقضاء الله تعالى،

(١) رواه البخاري (٢-٨٢)، برقم (١٢٩٦). ومسلم (١-١٠٠) برقم (١٠٤) واللفظ له.

وقالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَمَرُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (١).

### معاني الكلمات:

بَرِيءٌ: أي: تبرأ بمعنى تخلى.

الصَّالِقَةُ: التي ترفع صوتها عند المصيبة بالنُّوح والعيول.

الحَالِقَةُ: التي تحلق شعرها أو تنتفه من شدة الجزع والهلع.

الشَّقَاقَةُ: التي تشق جيبها أو ثوبها تَسَخُّطًا من قضاء الله.

### من فوائد الحديث:

- أن هذا الفعل وهذا القول من الكبائر؛ لأن النبي ﷺ تبرأ ممن عمل ذلك، ولا يتبرأ إلا من فعل كبيرة.

- لا نهى عن الحزن والبكاء دون نياحة ورفع صوت، فهو لا ينافي الصبر على قضاء الله.

- تحريم التسخط من أقدار الله المؤلمة، وإظهار ذلك بالنياحة أو الندب أو الحلق أو الشق أو غير ذلك؛ كَحَثِي التراب على الرأس، أو التزام لبس السواد وعدم خلعه.

(١) سورة البقرة، الآيات ١٥٦-١٥٧.

## الأبغون خديثاً في مكارم الأخلاق

- تحريم تقليد الجاهلية بأمرهم التي لم يقرّهم الشارع عليها، مثل عاداتهم الباطلة عند المصائب.

- ضعف النساء وقلة تحملهن.

## الحديث الثامن عشر:

### الترهيب من سؤال الناس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْتُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلَيْسَتْ قَلٌّ أَوْ لَيْسَتْ كَثْرٌ» [صحيح] (١).

#### الشرح:

في هذا الحديث بيان عاقبة مَنْ يسأل الناس أموالهم بدون حاجة، فقد أخبر رسول الله ﷺ أن من طلب من الناس شيئاً من أموالهم استكثاراً منها من غير حاجة ولا ضرورة فإنما يسأل قطعة من نار جهنم؛ يعني أن ما أخذه سببٌ للعقاب بالنار، وقوله: (فليستقل أو ليستكثر) أي: من ذلك الجمر، وهو أمر على جهة التهديد.

#### معاني الكلمات:

تكتُّراً: أي دون حاجة.

فليستقل: فليأخذ قليلاً.

(١) أخرجه مسلم، برقم (٧٢٠ - ٢) برقم (١٠٤١). وابن ماجه، (١ - ٥٨٩) برقم (١٨٣٨).  
وأحمد، (١٢ - ٨٠) برقم (٧١٦٣).

ليستكثر: ليأخذ كثيراً.

من فوائد الحديث:

- بيان ذم سؤال الناس أموالهم دون حاجة واضطرار.
- بيان أن هذا الذم إنما يلحقه إذا سأل تكثراً، لا للضرورة.
- التهديد بأن المال الذي أخذه بهذا السؤال يكون في الآخرة ناراً يُعذَّب بها.
- بيان أن الأمر والنهي قد يأتيان بمعنى التهديد، فليس في قوله: (فليستقل أو ليستكثر) إباحة للسؤال وتخيير فيه، وإنما فيه وعيد لفاعله.

## الحديث التاسع عشر:

### السماحة في البيع والشراء والقضاء

عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «رَجِمَ اللهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى» [صحيح] (١).

#### الشرح:

معنى الحديث: (رَجِمَ اللهُ رَجُلًا) هذا دعاء بالرحمة لكل من اتصف بالسماحة في بيعه وشرائه واقتضائه الثمن، أي: أخذ الديون، سواء كان رجلاً أو امرأة، والتنصيص على الرجل خرج مخرج الغالب.

(سَمَحًا إِذَا بَاعَ) أي: سهلاً في بيعه، فلا يشدد على المشتري في سعرها، بل ويضع عنه من ثمنها، وفي رواية عند أحمد والنسائي من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: «أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًّا وَبَائِعًا» (٢).

(١) رواه البخاري (٥٧-٢) برقم (٢٠٧٦). والترمذي، برقم (١٣٢٠). وابن ماجه، (٧٤٢-٢) برقم (٢٢٠٣) باختلاف يسير. وأحمد، (٢٣-٢٦) برقم (١٤٦٩٩) مطولاً. والبيهقي، برقم (١١٢٩٧).

(٢) رواه أحمد (١/٤٧٠) والنسائي في السنن الكبرى (٦/٩١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/١٠٧).

(وإذا اشترى) أي: سهلاً إذا اشترى، فلا يجادل ولا يماكس في سعرها، بل يكون سهلاً مسامحاً.

(وإذا اقتضى) أي: يكون سمحاً سهلاً حال طلب دينه من غريمه، فيطلبه بالرفق واللطف لا بالعنف. وفي رواية عند ابن حبان من حديث جابر رضي الله عنه زيادة: «سمحاً إذا قضى»<sup>(١)</sup> أي: سمحاً سهلاً حال قضاء الديون التي عليه، فلا يماطل ولا يتهرب مما عليه من الحقوق، بل يقضيها بسهولة وطيب نفس. فهؤلاء الأصناف الأربعة دعا لهم النبي ﷺ بالرحمة متى كانوا متسامحين في بيعهم وشرائهم وقضاء ما عليهم واقتضاء ما لهم من ديون على غيرهم.

#### معاني الكلمات:

سمحاً: سهلاً جواداً سخياً.

اقتضى: طلب قضاء حقه.

(١) رواه ابن حبان (١١ / ٢٦٧) . والبيهقي في السنن الكبرى (٥ / ٥٨٥) .

من فوائد الحديث:

- استحباب المسامحة في البيع والشراء؛ وذلك بأن يترك كل من البائع والمشتري ما يسبب ضرر الآخر وإزعاجه.
- الحث على الليونة في طلب قضاء الحقوق، واستحباب التنازل عن شيء منها.

## الحديث العشرون:

### ارتباط الإيمان بحسن الخلق

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» [حسن] (١).

#### الشرح:

أعلى المؤمنين درجات هو من حسن خلقه، ومن أحق الناس بحسن الخلق هي الزوجة؛ بل أحسن الناس خلقاً من حسن خلقه مع زوجه.

ولقد حثَّ الإسلام على التخلُّق بالأخلاق الحسنة، ورفع شأنها، وبيّن أهميتها ومكانتها العظيمة، وأيضاً حثَّ على العشرة الطيبة للأهل ومعاملتهم بالمعروف.

وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً) أي: أكثرهم اتِّصافاً بصفات الإيمان، ومن أكثرهم تزوداً من الطاعات.

(أحسنهم خلقاً) أي: الذي يمتثل بالخلق الحسن بين الناس جميعاً، فيحسب خلقه مع الله عزَّ وجلَّ بالرضا بقضاء الله وقدره، والصبر والحمد في البلاء، والشكر

(١) رواه أبو داود (٤ - ٢٢٠) برقم (٤٦٨٢). والترمذي (٣ - ٤٥٨) برقم (١١٦٢). وأحمد (٢ / ٤٧٢) واللفظ له.

عند النِّعْمَةِ، ويكونُ حَسَنَ الخُلُقِ مع النَّاسِ؛ بكفِّ الأذى عنهم، وطلاقة الوجه، والإحسانِ إليهم، وبذَلِ العَطَاءِ فيهم، مع الصَّبْرِ على أذاهم، فكمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسْنَ الخُلُقِ، والإحسانَ إلى النَّاسِ كافَّةً.

(وخيارُكم) أي: أفضلُكم وأحسَنُكم، (خيارُكم لنِسائِهِم)، وفي روايةِ الترمذيِّ «أَلطْفُهُم بِأَهْلِهِ»<sup>(١)</sup> أي: في حُسْنِ خُلُقِهِ مَعَهُنَّ في المَعاملَةِ والمَعاشِرَةِ، والمرادُ مِنَ النِّسَاءِ: أهْلُهُ مِنَ النِّسَاءِ كزَوْجَتِهِ وبناتِهِ وأخواتِهِ وقَرِيباتِهِ؛ لِأَنَّهِنَّ مَحَلُّ الرِّحْمَةِ لضعفهنَّ.

#### من فوائد الحديث:

- في الحديث: الحثُّ والتَّريعُ في حُسْنِ الخُلُقِ.
- وفيه: الحثُّ والتَّريعُ في حُسْنِ مُعاملَةِ النِّسَاءِ.
- وفيه: إثباتُ أنَّ الإيمانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.
- وفيه ارتباطُ الإيمانِ بحسن الخلق.
- فضيلةُ الأخلاقِ الحسنةِ في الإسلام.
- تفاوتُ الإيمانِ وأنه يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وليس شيئاً واحداً.

(١) "رواه الترمذي (٤ / ٣٠٥) وأحمد (٤٠ / ٢٤٢)

الأبغون خدينا في كتاب الأخلاق

الأبغون خدينا في كتاب الأخلاق

## الحديث الحادي والعشرون:

### الحث على إنظار المعسر والإفراق في المطالبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: «كان رجل يُدَّيْنُ النَّاسَ، وكان يقول لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ» [صحيح] (١).

#### الشرح:

معنى الحديث: (كان رجلٌ يُدَّيْنُ النَّاسَ) أي: يتعامل معهم بالقرض، أو يبيعهم بالأجل، وكان يقول لِعَلَامِهِ الذي يتقاضى الديون التي عند الناس: إِذَا أَتَيْتَ مُدِينًا ولم يكن عنده ما يقضي به الدين الذي عليه لعجزه، (فَتَجَاوَزَ عَنْهُ) إما بإمهاله وعدم الإلحاح في المطالبة، أو بقبول ما عنده ولو مع ما فيه من نقص يسير،

(لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا) أي يعفو عنَّا لتجاوزنا عن عباده والتمسير عليهم ورفع الحرج عنهم، وهذا لعلمه بأن الله تعالى يكافئ العباد على إحسانهم إلى عباده بما يوافق فعلهم، ولعلمه أن الله تعالى لا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

(١) رواه البخاري (١/ ١٢٦)، برقم (٢٠٧٨). ومسلم (٣/ ١١٩٦)، برقم (١٥٦٢).

فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ) مكافأة له على رحمته للناس، ورفقه بهم، وتيسيره عليهم، مع أنه لم يعمل خيراً قط كما هي رواية النسائي وابن حبان: «إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يُداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر وتجاوز، لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا»<sup>(١)</sup>، فلما أحسن الظن بالله تعالى وأحسن إلى عباد الله تعالى، تجاوز الله عن سيئاته، والجزاء من جنس العمل.

### معاني الكلمات:

يُداين: يكثر من التعامل مع الناس بالقرض. فتاه: وهو الخادم حرّاً كان أو مملوكاً. أتيت معسراً: لمطالبته بما عليه. فتجاوز عنه: تساهل معه؛ من حط الدين أو التأخير في أجل القضاء. أن يتجاوز عتاً: يغفر لنا ذنوبنا. فلقى الله: كناية عن الموت.

### من فوائد الحديث:

- الأجر يحصل لمن يأمرُ بالخير ولو لم يتولَّ ذلك بنفسه.
- شرَّع من قبلنا شرَّعٌ لنا إذا لم يخالف ما في شرعنا.
- الحث على إنظار المعسر والإرفاق في المطالبة.

(١) رواه النسائي (٣١٨ / ٧) وابن حبان (٤٢٢ / ١١).

الأبغون خدينا في كمال الأخلاق

الأبغون خدينا في كمال الأخلاق

## الحديث الثاني والعشرون:

وجوب الابتعاد عن الغضب؛ لما فيه من الأضرار الجسمية والنفسية والاجتماعية

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

### الشرح:

القوة الحقيقية ليست هي قوة العضلات والجسد، وليس الشديد القوي هو الذي يصرع غيره من الأقوياء دائماً، وإنما القوي الشديد بحق هو الذي جاهد نفسه وقهرها حينما يشتد به الغضب؛ لأن هذا يدل على قوة تمكنه من نفسه وتغلبه على الشيطان.

### معاني الكلمات:

الشديد: القوي في بدنه.

الصرعة: هو القوي الذي يصرع الناس.

(١) رواه البخاري، (٥/ ٢٢٦٧)، برقم (٥٧٦٣). ومسلم، (٤/ ٢٠١٤)، برقم (٢٦٠٩).

من فوائد الحديث:

- فضيلة الحلم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧) (١).
- مجاهدة النفس عند الغضب أشد من مجاهدة العدو.
- تغيير الإسلام لمفهوم القوة الجاهلي إلى أخلاق كريمة تبني شخصية مسلمة متميزة، فأشد الناس قوة هو من ملك زمام نفسه وطمعها عن شهواتها.
- وجوب الابتعاد عن الغضب؛ لما فيه من الأضرار الجسمية والنفسية والاجتماعية.
- الغضب صفة بشرية تنصرف بأمر منها ملك النفس.

(١) سورة الشورى ، الآية ٣٧ .

## الحديث الثالث والعشرون:

من ستر مسلماً ستره الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يسترُ عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

### الشرح:

المسلم إذا رأى من أخيه معصية وجب عليه أن يسترها عليه ولا يشيعها بين الناس، فإن ذلك من إشاعة الفاحشة، ومن فعل ذلك ابتغاء مرضات الله، فإن الله تعالى يجازيه يوم القيامة بأن يستر عيوبه ولا يفضحه على رؤوس الأشهاد.

### معاني الكلمات:

الستر: الإخفاء.

(١) رواه مسلم (٤ / ٢٠٠٢) برقم (٢٥٩٠)

من فوائد الحديث:

- أن جزاء من ستر عبداً في الدنيا الستر يوم القيامة، فالجزاء موافق للعمل، ويكون ستر الله إما بمحو ذنبه فلا يسأله، أو يُسأل من غير أن يطلع عليه أحد ثم يعفو عنه.
- الجزاء من جنس العمل.
- الترغيب في ستر أخطاء الآخرين.
- المسلم مرآة للمسلم.
- الله سبحانه وتعالى حيي ستيّر يحب الحياء والستّر.

## الحديث الرابع والعشرون:

### حقيقة التوكل على الله

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أنكم كنتم تَوَكَّلُونَ على الله حق تَوَكُّلِهِ؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا» [صحيح] (١).

#### الشرح:

يرشدنا هذا الحديث إلى أن نتوكل على الله تعالى في جميع أمورنا، وحققيقة التوكل: هي الاعتماد على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والدين؛ فإنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع إلا هو سبحانه وتعالى ، وأن على الإنسان فعل الأسباب التي تجلب له المنافع وتدفع عنه المضار مع التوكل على الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٢) ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣) ، فمتى فعل العبد ذلك رزقه الله كما

(١) رواه الترمذي (٤ / ٥٧٣)، برقم (٢٣٤٤). وابن ماجه، (٢ / ١٣٩٤)، برقم (٤١٦٤). وأحمد

(١ / ٣٣٢)، برقم (٢٠٥).

(٢) سورة الطلاق، الآية ٣.

(٣) سورة يوسف: ٦٧.

يرزق الطير التي تخرج صباحًا وهي جياع ثم تعود مساء وهي ممتلئة البطون.

ولقد حثنا شرعنا المبارك الإسلام العظيم على التوكُّل على الله تعالى والأخذ بالأسباب، وأن يكون المسلم مُستعينًا بالله تعالى، معترفًا بأنَّ الله بيده كلُّ شيءٍ، وأنَّه هو الَّذي يَقْدِرُ الأشياءَ.

وفي هذا الحديث يقول النَّبِيُّ ﷺ: «لو أنكم كنتم تَوَكَّلون على الله حقَّ توَكُّله» أي: لو حَقَّقْتُمْ معنى التَّوَكُّلِ على الله، واعتمدتم عليه بصدقٍ، وأخذتم بما تيسر لكم من أسبابٍ، وعلمتم أنَّ الله بيده العطاء والمنع، وأنَّ تكسُّبكم وسعيكم من أسبابِ الله، وليست قوَّتكم هي الرِّازقة لكم،

(لرَزَقْتُمْ) أي: لرَزَقَكُم اللهُ ويسر لكم الأسباب،

(كما يرزُقُ الطَّيْرَ)، أي: كما يَأْتِي بالرِّزْقِ إلى الطَّيْرِ عندما

(تَغْدُو) أي: تَذْهَبُ بُكْرَةً في أوَّلِ نهارها،

(خِماصًا) أي: جِياعًا وبطونها فارغة،

(وتروحُ) أي: وتأتي في آخر النَّهار إلى بيَّاتها

(بطانًا) أي: وقد مُلئتُ بطونها بالطَّعام.

وهذا نوعٌ من أنواع الأسبابِ في السَّعي لطلبِ الرِّزْقِ دون التَّوَكُّلِ والتَّكاسُلِ، والجلوسِ والرُّهْدِ الكاذبِ في الدُّنيا، لكنَّ يَنْبَغِي للعبدِ الأخذُ بأسبابِ الرِّزْقِ مع اليقينِ في الله وعدمِ الانشغالِ بالدُّنيا عن الآخرة.

### معاني الكلمات:

توكلون: (التوكل) اعتماد القلب على الله في طلب المصالح ودفع المضار مع فعل الأسباب المأذون فيها.

حق توكله: بالاعتماد على الله عز وجل دون غيره في أمور الدنيا والآخرة، مع الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا ينفع سوى الله تعالى.

تغدو: تذهب أول النهار.

خماصًا: خاوية البطون من الجوع.

تروح: ترجع آخر النهار.

بطانًا: ممتلئة البطون.

### من فوائد الحديث:

- فضيلة التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق.
- التوكل لا ينافي النظر إلى الأسباب، فإنه سبحانه وتعالى أخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق.
- اهتمام الشريعة بأعمال القلوب؛ لأن التوكل عمل قلبي.
- التوكل على الله سبب معنوي في جلب الرزق، ولا ينافيه فعل السبب الحسي.

## الأبغون خدينا في كتاب الأخلاق

- مشروعية التوكل على الله في كل المطالب، وهو من واجبات الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>

## الأبغون خدينا في كتاب الأخلاق

(١) سورة المائدة، الآية ٢٣.

## الحديث الخامس والعشرون:

### فضل برّ الوالدين

عن أسير بن عمرو، ويقال: ابن جابر، قال: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أْفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلِيَّ أُوَيْسٌ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»، فَاسْتَغْفِرُ لِي، فَاسْتَغْفِرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكَتُهُ رَثَ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَاتَى أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ

فَاسْتَعْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عمرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ.<sup>(١)</sup>

وفي رواية أيضاً عن أسير بن جابر: أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى عمرَ ٧ وفيهم رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُويُسَ، فَقَالَ عمرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عمرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُويُسُ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمَّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَأَذْهَبَهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهِ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية له: عن عمر رضي الله عنه قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُويُسُ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» [صحيح]<sup>(٣)</sup>.

### الشرح:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه جماعات الغزاة من أهل اليمن الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو، سألهم: أفیکم أویس بن عامر؟ فما زال كذلك حتى جاء أویس p فقال له عمر: هل أنت أویس بن عامر؟ قال: نعم، قال عمر: هل أنت من قبيلة مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، ثم قال له عمر: وهل كان بك برص فشفتيت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال عمر: هل لك

(١) رواه مسلم (٤ - ١٩٦٩) برقم (٢٥٤٢).

(٢) رواه مسلم (٤ - ١٩٦٨) برقم (٢٥٤٢).

(٣) رواه مسلم (٤ - ١٩٦٨) برقم (٢٥٤٢)..

والدة؟ قال: نعم، فقال عمر: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيأتي عليكم أويس بن عامر مع جماعات الغزاة من أهل اليمن من قبيلة مراد ثم من قرن، وكان به برص فشفاه الله منه إلا موضع درهم، له والدة هو بار بها، لو أقسم على الله بحصول أمر لأبره الله بحصول ذلك المقسم على حصوله، فإن استطعت يا عمر أن يستغفر لك فافعل»، ولا يفهم من هذا أفضلية على عمر، ولا أن عمر غير مغفور له؛ للإجماع على أن عمر أفضل منه لأنه تابعي والصحابي أفضل منه، إنما مضمون ذلك الإخبار بأن أويساً ممن يستجاب له الدعاء، وإرشاد عمر إلى الازدياد من الخير واغتنام دعاء من تُرجى إجابته، وهذا نحو مما أمرنا النبي ﷺ به من الدعاء له، والصلاة عليه، وسؤال الوسيلة له، وإن كان النبي أفضل ولد آدم.

ثم سأله عمر أن يستغفر له فاستغفر له، ثم قال له عمر: ما هو المكان الذي سوف تذهب إليه؟ فقال: الكوفة، قال عمر: هل أكتب لك إلى أميرها ليعطيك من بيت مال المسلمين ما يكفيك؟ قال أويس: لأن أكون في عوام الناس وفقرائهم أحب إلي، فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرف أهل الكوفة فقابل عمر، فسأله عمر عن أويس، فقال: تركته وبيته متواضع وأثاث بيته قليل، قال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيأتي عليكم أويس بن عامر، مع جماعات الغزاة من أهل اليمن من قبيلة مراد ثم من قرن، وكان به برص فشفاه الله منه إلا موضع درهم، له والدة هو بار بها، لو أقسم على الله بحصول أمر لأبره الله بحصول ذلك المقسم على حصوله، فإن استطعت يا عمر أن

يستغفر لك فافعل. فأتى ذلك الرجل أويساً فقال له: استغفر لي، فتنبه أويس أنه لعله لقي عمر، فقال له: هل لقيت عمر؟ قال: نعم، فاستغفر أويس له، فتنبه الناس لهذا الأمر فأقبلوا عليه، فخرج من الكوفة وذهب إلى مكان آخر لا يعرفه فيه الناس.

### معاني الكلمات:

الأمَدَاد: جمع مَدَد: وهم الأعوان والناصرين الذين كانوا يمدّون المسلمين في الجهاد.

مِنْ مُرَاد: اسم لقبيلة.

مِنْ قَرْنٍ: بطن من قبيلة مراد.

فَبِرَأً: فَشْفِي.

بِرُّ: بالغ في البر والإحسان إليها.

لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ: لو حَلَفَ على الله بأمر من الأمور لأبر قسمه.

الْكُوفَةُ: مدينة وسط العراق غرب نهر الفرات مُصِرَّت أيام عمر بن الخطاب

رضي الله عنه ١٧هـ، وقيل ١٩هـ.

عَبْرَاء النَّاسِ: وهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لا يُعرف عينه من أخلاطهم.

رَبَّ الْبَيْتِ: قليل المتاع، والرثاثة: حقارة المتاع وضيق العيش.

الْمَتَاع: كل ما يُنْتَفَع به ويُرْغَب في اقتنائه؛ كالطعام وأثاث البيت والسلعة والأداة والمال.

أُحْدِثُ: أقرب.

فَقَطِنَ لَهُ النَّاسُ: تنبَّهوا له.

فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ: أي خرج من الكوفة.

بَيَاضٌ: هو البرص كما جاء في رواية أخرى. يَسْخَرُ: يستهزئ.

#### من فوائد الحديث:

- فضل أويس بن عامر، وأنه خير التابعين.
- معجزة للنبي ﷺ؛ لما فيه من الإخبار بالأمر قبل وقوعه، وذكر أويس باسمه وصفته وعلامته، واجتماعه بعمر، وإنما يعلم النبي ﷺ ما أطلعه الله عليه من الغيب فقط.
- ما فعله عمر رضي الله عنه من تبليغ الشريعة ونشر السنة، والإقرار بالفضل لأهله، والثناء على من لا يُخشى عليه عجب بذلك.
- تواضع عمر رضي الله عنه وحرصه على الخير، وهو يومئذ خليفة المسلمين.
- جواز اعتزال الناس إذا خشي المرء على نفسه الفتنة.

## الأبغوز خديثاً في مكارم الأخلاق

- الإنسان بجوهره وليس بمظهره، ولذلك فإن مقياس العباد للناس غير مقياس الحق  $\phi$ ، فالناس ينظرون إلى مظاهر الدنيا وزينتها؛ ولذلك يسخرون من المؤمنين، والحق سبحانه ينظر إلى قلوب عباده وأعمالهم.
- الإقرار بالفضل لأهله.
- فضل برّ الوالدة وأنه من أفضل القربات.
- طلب الدعاء من الصالحين وإن كان الطالب أفضل، بشرط ألا يدع الطالب الدعاء بنفسه، وأن يأمن من حصول فتنة للمطلوب منه.

## الحديث السادس والعشرون: رضا الله في رضا الوالدين

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين» [حسن لغيره]<sup>(١)</sup>.

### الشرح:

في هذا الحديث جعل الله تعالى رضاه من رضا الوالدين، وسخطه من سخطهما، فمن أرضاها فقد أَرْضَى اللهُ تعالى، ومن أسخطهما فقد أسخط الله تعالى.

### معاني الكلمات:

رضا الله: صفة من صفاته التي تليق به سبحانه، وهي تستلزم المحبة والاختيار.

سخط الله: صفة من صفاته التي تليق به سبحانه، وهي تعني الغضب.

(١) رواه الترمذي (٣١١ / ٤) (١٨٩٩)، وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة"، برقم (٥١٦).

من فوائد الحديث:

- وجوب إرضاء الوالدين، وتحريم إسقاطهما.
- الجزاء من جنس العمل، فمن أرضى والديه رضي الله عنه ،  
والعكس بالعكس.
- إثبات الرضا صفة لله سبحانه، وكذلك السخط.

## الحديث السابع والعشرون:

فضل تقوى الله ﷻ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» [حسن] (١).

### الشرح:

في الحديث دليل على فضل التقوى، وأنها سبب لدخول الجنة، وكذلك فضل حسن الخلق، وأن هذين الأمرين "التقوى، وحسن الخلق" من أعظم وأكثر الأسباب التي تدخل العبد الجنة.

### معاني الكلمات:

تَقْوَى اللَّهِ: (التقوى) من أحسن تعاريفها: هي العمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وترك معصية الله، على نور من الله، مخافة عقاب الله.

(١) رواه الترمذي (٤ / ٣٦٣) برقم (٢٠٠٤). وأبو داود (٤ / ٢٢٠) (٢٥٩٦) وابن ماجه (٢ - ٢١٨)، برقم (٤٢٤٦). وأحمد، (١٥ - ٤٣٥) برقم (٩٦٩٦).

من فوائد الحديث:

- أن دخول الجنة يكون بأسباب وأعمال ذكرها الشارع.
- أن من أسباب دخول الجنة أسباب متعلقة بالله، ومنها في الحديث: (تقوى الله)، وأسباب متعلقة بالخلق، ومنها في الحديث: (حسن الخلق).
- في الحديث دليل على فضيلة التقوى، وأنها سبب لدخول الجنة.
- فضل حسن الخلق على كثير من العبادات، وأنه كذلك من أسباب دخول الجنة.

## الحديث الثامن والعشرون:

بيان علو شأن مكارم الأخلاق، وأنها ركن  
من أركان البعثة النبوية الشريفة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما  
بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ -وفي رواية: صالح- الأخلاق» [صحيح] (١).

### الشرح:

كانت العربُ تتخلَّقُ ببعضِ من محاسنِ الأخلاقِ بما بقيَ عندهم من شريعةِ  
إبراهيمَ عليه السلام، ولكن كانوا قد ضلُّوا بالكُفْرِ عن كثيرٍ منها، فبُعِثَ  
ﷺ لِيتَمِّمَ محاسنَ الأخلاقِ، كما يُؤكِّدُ هذا الحديثُ؛ حيث يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: (إنما  
بُعِثْتُ) أي: أُرْسِلْتُ للخَلْقِ،  
(لأَتَمِّمَ) أي: أكْمِلَ ما انتقصَ،

(مكارمَ الأخلاقِ) أي: الأخلاقَ الحسنةَ والأفعالَ المُستحسنةَ التي جبلَ اللهُ عليها

(١) رواه أحمد، (١٤ - ٥١٣) برقم (٨٩٣٩). والبخاري في "الأدب المفرد"، (١ - ١٠٤) برقم (٢٧٣) واللفظ لهما. والبخاري، (١٥ - ٣٦٤) برقم (٨٩٤٩) باختلاف يسير ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٣٢٣) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها (١ / ١١٢).

عبادته؛ من الوفاء، والمروءة، والحياء،

والعفة، فيجعل حسناتها أحسن، ويضيق على سيئها ويمنعها.

فقد كانت بعثته ﷺ في جوهرها لإتمام هذا الجانب التطبيقي المتمثل في إتمام مكارم الأخلاق، قولاً وفعلاً، دعوة وممارسة.

وها هو سبحانه يمتنّ على البشرية بهذه النعمة؛ نعمة النبوة، التي من أسمى أهدافها التزكية والسمو الأخلاقي، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>

#### رسول الأخلاق السامية ﷺ :

فإذا نظرنا إلى صاحب الرسالة ﷺ لوجدناه قد على فوق قمة الأخلاق وسما عليها، قال الله سبحانه وتعالى واصفاً نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>. أي: وإنك -أيها الرسول الكريم- لعلى دين عظيم، وعلى خلق كريم، وعلى سلوك قويم، في كل ما تأتيه وما تتركه من أقوال وأفعال.

والتعبير بلفظ (على) يشعر بتمكنه ﷺ ورسوخه في كل خلق كريم.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٤ .

(٢) سورة القلم ، الآية ٤ .

يقول ابن عاشور رحمه الله: "واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة.

والأخلاق كامنة في النفس، ومظاهرها: تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحرركته وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله ومن نظره، وما يترتب على ذلك من حرمة عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة.

وأما مظاهرها في رسول الله ﷺ ففي ذلك كله وفي سياسته أمته، وفيما خص به من فصاحة كلامه وجوامع كلمه<sup>(١)</sup>.

أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ  
إِلَّا عَلَى صَنَمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنَمٍ  
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا مُسَخَّرَةٌ  
لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمٌ  
مُسَيِّطِرُ الْفُرْسِ يَبْغِي فِي رَعِيَّتِهِ  
وَقَيْصَرُ الرُّومِ مِنْ كِبَرِ أَصَمِّ عَمٍ  
يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللَّهِ فِي شُوبِهِ  
كَالْأَيْثِ بِالْبَهْمِ أَوْ كَالْحَوْتِ بِالْبَلَمِ  
وَالْخَلْقُ يَقْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩ / ٦٥).

وصفه الله تعالى بالرفقة والرحمة، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) ﴿١٧٨﴾

ووصفه في التوراة بما وصفه في القرآن بالأخلاق الكريمة والشيم النبيلة، عن أبي محمد عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٢) ﴿٤٥﴾، وحرزاً للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظاً ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياء، وآذاناً صماء، وقلوباً غلغلاً.

فَأَخْلَقُ الرَّسُولَ لَنَا كِتَابٌ وَجَدْنَا فِيهِ أَقْصَى مُبْتَغَانَا  
وَعَزَّتْنَا بِغَيْرِ الدِّينِ ذُلٌّ وَقُدُّوتْنَا شَمَائِلُ مُصْطَفَانَا

من فوائد الحديث:

- في الحديث: الحثُّ على مكارم الأخلاق.

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٥ .

- وفيه: بيان أهمية الأخلاق الحسنة في شريعة الإسلام وأنها من أولوياته.

### مكانة التوحيد في حياة المسلم :

إنَّ أعظم المقاصد وأجلّ الغايات وأنبى الأهداف توحيدُ ربِّ الأرض والسموات، والإقرار له جلّ وعلا بالوحدانية، وإفراده ﷻ بالدّل والخضوع والانكسار، وإسلام الوجه له خضوعاً وتذللاً، رغباً ورهباً، خوفاً ورجاء، سُجوداً ورُكوعاً، وإخلاصُ الدّين له جلّ وعلا، والبراءةُ من الشّرك كلّه، قليله وكثيره، دقيقه وجليله، فهذه هي الغاية العظمى التي خُلق الخلق لأجلها وأوجدوا لتحقيقها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦)<sup>(١)</sup>، وهي الغاية التي أرسل الله جلّ وعلا لأجلها رسله الكرام، وأنزل كتبه العظام: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢)<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

(٥٥) ﷻ<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٢٥ .

وبالتوحيد يحيا العبد حياة حقيقية ملؤها رضا الرحمن، والفوز بالكرامة والإنعام، وبدون التوحيد يحيا حياة بهيمة الأنعام: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١).

إن فاقد التوحيد ميت ولو كان يمشي على الأرض، ومحقق التوحيد هو الذي يحيا الحياة الحقيقية، يقول الله جلّ وعلا: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (٢)

أي: أحييناه بالإيمان والتوحيد، ويقول ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٣).

وبالتوحيد أمن الأوطان وراحة الأبدان: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٤)، ويقول ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (٥).

وبالتوحيد سعادة الإنسان وطمأنينته، يقول الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا

(١) سورة الفرقان، الآية ٤٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

(٤) "سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٥) سورة النور، الآية ٥٥.

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾<sup>(١)</sup> ، ويقول ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَتِكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٧٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٧٣﴾﴾<sup>(٢)</sup> ، ويقول ﷺ: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾﴾<sup>(٣)</sup> ، أي: إنما أنزلناه عليك لتسعد به ويسعد به من اتبعك. وبالتوحيد تنزاح عن القلب الأوهام وتنطرد الوسوس والأفكار الرديئة، ويحصل للقلب طمأنينته وراحته وهدوءه وسكونه، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾<sup>(٤)</sup> ، وهذا توحيد الله: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾<sup>(٥)</sup> .

وبالتوحيد تنطرد الشياطين ولا تطبق البقاء في مكان يصدع فيه بالتوحيد، وإذا سمع الشيطان الأذان ولى وله ضراط. والقرآن كله توحيد وتمجيد وتعظيم لله ﷻ، وآية الكرسي هي آية التوحيد وبيان براهينه وحججه ودلائله وبيّناته، وإذا قرأ المؤمن آية الكرسي إذا أوى إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

(١) "سورة النحل ، الآية ٩٧ .

(٢) "سورة طه ، الآيات ١٢٣-١٢٤ .

(٣) سورة طه، الآيات ١-٢ .

(٤) سورة الناس ، الآيات ١-٣ .

(٥) سورة الناس ، الآيات ٤-٦ .

## الأبعوز حديثاً في كتاب الإخلاق

وبالتوحيد يسلم العبد -بإذن الله- من كيد الأشرار من السحرة والمشعوذين:  
﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وبالتوحيد ينال العبد الخيرات كلها، وسعادة الدنيا والآخرة، فإن الله ع قضى في حكمه العظيم أنّ السعادة والنعيم إنما يكون لأهل الإيمان والتوحيد في دنياهم وفي قبورهم وفي أخراهم: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

فإنّ توحيد الله ﷻ هو أولى أمر وأعظم أمر ينبغي أن يذكر به الناس، قال الله تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾<sup>(٥)</sup>. والعبد يحتاج إلى تقوية إيمانه وتجديد إسلامه وتقوية صلته بربه ﷻ،

قال ﷻ: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب»،<sup>(٦)</sup> وفي خضم الفتن الصارفة والأهواء الجارفة والفتن العاصفة يحتاج الناس إلى التأكيد على التوحيد، ويحتاج الصغار إلى أن ينشئوا عليه تنشئة عظيمة متينة:  
﴿يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الحج ، الآية ٣٨ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٤٧ .

(٣) سورة الانفطار، الآية ١٣ .

(٤) سورة الذاريات، الآيات ٥٥-٥٦ .

(٥) رواه الحاكم في المستدرک (١- ٤٥) والطبراني في المعجم (١٣- ٣٦) وصححه الألباني في صحيح

الجامع (١- ٣٣٠) برقم (١٥٩٠).

(٦) سورة لقمان، الآية ١٣ .

## الأبغوز حديثاً في مكارم الأخلاق

نسأل الله ﷻ أن يحيينا موجِّدين لله، مخلصين الدِّين له، مؤمنين به جل في علاه، معظمين لجنابه، وأن يعيِّدنا أجمعين من الشُّرك كله، دقيقه وجليله، قليله وكثيره.

الأبغوز حديثاً في مكارم الأخلاق

استراحة

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا  
وأصفح عن سباب الناس حلمًا وشر الناس من يهوى السبابا  
وأترك قائل العوراء عمدًا لأهلكه وما أعيا الجوابا  
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

من مكارم أخلاق نبينا ﷺ

(الصدق – الأمانة – الحلم – الأناة – الشجاعة – المروءة – المودة – الصبر – الإحسان – الحلم – الاعتدال – الكرم – الإيثار – سلامة الصدر – الرفق – العدل – الحياء – الشكر – حفظ اللسان – العفة – الوفاء – الشورى – التواضع – العزة – الستر – العفو – التعاون – الرحمة – البر – القناعة – الرضا – الوقار – الألفة).

## أمثال وحكم عن مكارم الأخلاق

إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.  
في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.  
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل  
لا يمكن للإنسان أن يصبح عالمًا قبل أن يكون إنسانًا.  
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا  
شيئان ما انفكا يثيران في نفسي الإعجاب والاحترام: السماء ذات النجوم من  
فوقي، وسمو الأخلاق في نفسي.  
كفى المرء فضلًا أن تُعدَّ معايبه.  
تنكشف الأخلاق في ساعة الشدة.  
إذا لم تستحي فافعل ما تشاء.  
الخلق من إذا مدحته خجل، وإذا هجوته سكت.  
أطهر الناس أعرافًا أحسنهم أخلاقًا.  
لا مروءة لكذوب، ولا ورع لسيئ الخلق.  
أعرف الناس بالله أَرْضَاهُمْ بما قسم الله له.

## الأبغوز خديثاً في مقام الأخلاق

إذا بيئة الإنسان يوماً تغيّرت  
فأخلاقه طبقاً لها تتغير  
اعفُ عما أغضبك لما أَرْضَاكَ.

تواضع عن رفعة، وازهد عن حكمة، وأنصف عن قوّة، واعفُ عن قدرة.  
أفضل الجود العطاء قبل الموعد.

ما قرن شيء إلى شيء أفضل من إخلاص إلى تقوى، ومن حلم إلى علم، ومن  
صدق إلى عمل، فهي زينة الأخلاق ومنبت الفضائل.  
الأقربون أولى بالمعروف.

الخلق صدوق، والعنيف ضعيف، والأصيل نبيل، والحليم حكيم، والشريف  
عفيف.

البشر دال على الكرم.

حسن الخلق أحد مراكب النجاة.

التكبر على المتكبر تواضع.

أدنى أخلاق الشريف كتمان سره، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه.

التواضع من مصائد الشرف.

إذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع في يده سلطة ثم انظر كيف يتصرف.

الجودة من الموجودة.

الحرّ تكفيه الإشارة.

الجئُ سيد الأخلاق.

الدال على الخير كفاعله.

الرفق بالجاني عتاب.

الشريف إذا تقوى تواضع، والوضيع إذا تقوى تكبر.

الصدق دليل التقوى.

الصدق يحسن بالفتى والكذب يحسب من عيوبه.

الضحك بلا سبب من قلة الأدب.

العتاب خير من الحقد.

العتاب صابون القلب.

العقة جيش لا يُهزم.

العفو عند المقدرة.

العفو يصلح الكريم ويفسد اللئيم.

قدر قبح الكريم في الإملاق

الغنى في يد اللئيم قبيح

الفضل ما شهدت به الأعداء.

القدوة الحسنة خير من النصيحة.

القدوة الحسنة خير من الوصية.

القناعة كنز لا يفنى.

الكذب داء والصدق دواء.  
الكريم من أكرم الأحرار.  
الكريم يظلم من فوقه، واللئيم يظلم من تحته.  
المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتضع طيباً.  
المرء بالأخلاق يسمو ذكره.  
النظافة من الإيمان.  
النعمة عروس مهرها الشكر.  
الوعد سحاب والإنجاز مطره.  
أملك الناس لنفسه من كتم سرّه.  
إن الله يحب معالي الأمور ويبغض سفاسفها.  
إن المقدرة تُذهب الحفيظة.  
المرء بأصغريه: قلبه ولسانه.  
إنما سُميت هانئاً لتهناً.  
إنه نسيج وحده.  
أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.  
إياك وما يعتذر منه.  
بشرُّ الكريم في وجهه يلوح.

بيت المحسن عمار.  
تاج المروءة التواضع.  
ترك الذنب أيسر من الاعتذار.  
تمام الصدق الإخبار بما تحمله العقول.  
تناس مساوي الإخوان يدم لك وُدُّهم.  
حُسْنُ الخلق خير قرين.  
حُسْنُ الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد.  
حُسْنُ الخلق يوجب المودة.  
حق من كتب بمسك أن يختم بعنبر.  
خلقت مُبْرَأً من كل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء  
خير الناس للناس خيرهم لنفسه.  
خير الناس من فرح للناس بالخير.  
خير صلواتِ الكريم أَعْوَدُها.  
ساقِي القوم آخرهم شرابًا.  
سر النجاح على الدوام هو أن تسير إلى الأمام.  
سيد القوم خادمهم.  
شكرت جميل صنعكم بدمعي ودمع العين مقياس الشعور

## الأبغوز حديثاً في مقام الإخلاق

صلاح أمرك بالأخلاق مرجعه  
فَقَوْمُ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمُ  
عامل الناس برأي رفيق  
وَالْق من تلقى بوجه طليق  
عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.  
فرط الأنس مكسبة لقرناء السوء.  
فلان دُرَّةُ التاج وواسطة العقد.  
قلوب المؤمن دليله.  
قليل في الجيب خير من كثير في الغيب.  
كل امرئ بما يحسنه.  
كما أن السؤال يُذِلُّ قَوْمًا  
كذلك يعزُّ قوم بالعطاء  
لا تشن وجه العفو بالتأنيب.  
لا تكن حلوا فتؤكل، ولا مرًا فترمى.  
لا تمازح الشريف فيحنق عليك، ولا الدنيا فيتجراً عليك.  
لا تنه عن خلق وتأتي مثله  
عار عليك إذا فعلت عظيم  
لا خير فيمن لا يَأْلُفُ ولا يُولَفُ.  
لكل مقام مقال، ولكل زمان رجال.  
للشدايد تُدَخِّرُ الرجال.  
لو كان الكذب ينجي فالصدق أنجي.

ما كل من قال قولاً وفي.

«من حسن إسلام المرء تزكُّه ما لا يعنيه»<sup>(١)</sup>.

معاينة الإخوان خير من فقدهم.

«من تواضع لله رفعه»<sup>(٢)</sup>.

من حسن خُلْفُه استراح وأراح.

من حسن خُلْفُه وجب حُقُّه.

مَنْ شابه أباه فما ظلم.

مَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ.

من عرف نفسه عرف ربه.

من لم يقنع باليسير لم يكتفِ بالكثير.

نعم الثوب العافية إذا انسدل على الكفاف.

نعم العون على المروءة المال.

نعم المؤدَّبُ الدهر.

(١) رواه الترمذي (٤ - ١٣٦) وابن ماجه (٢ - ١٣١٥) وأحمد (٣ - ٢٥٩) وابن حبان (١ - ٤٦٦)

وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ - ١٠٢٧) برقم (٥٩١١) . .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٧ - ١٢٧) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠ - ٤٥٥) والطبراني في المعجم

الأوسط (٨ - ١٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ - ١٠٦١) برقم (٦١٦٢) .

نعم حاجب الشهوات غض البصر.

هذا الشبل من ذاك الأسد.

هي الأخلاق تنبت كالنبات إذا سقيت بماء المكرمات

هيهات تكتم في الظلام مشاعل.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبوا

لآت بما لم تستطعه الأوائل إنني وإن كنت الأخير زمانه

أي الناس ليس به عيوب.

تأتي على قدر الكرام المكارم.

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

ليست الأخلاق أن تكون صالحاً فحسب، بل أن تكون صالحاً لشيء ما.

اجتنب مصاحبة الكذاب، فإن اضطرت إليه فلا تُصدِّقه.

اجهل الناس من كان على السلطان مدلاً وللإخوان مدلاً.

أحضر الناس جواباً من لم يغضب.

الأخلاق نبتة جذورها في السماء، أما أزهارها وثمارها فتعطر الأرض.

أذل البخل أعناق الرجال.

التربية الخلقية أهم للإنسان من خبزه وثوبه.

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيه  
تفسد المؤسسات حين لا تكون قاعدتها الأخلاق.  
أعلمه الرماية كل يوم فلما أشتد ساعدُهُ رماني  
ابدؤوا بإصلاح الأخلاق فإنها أول الطريق.  
أغنى الأغنياء من لم يكن للبخل أسيراً.  
اصحب الناس بأي خلق شئت يصحبوك.  
أقلّ الناس سروراً الحسود.  
من ساء خلقه عدّب نفسه.  
البخيل عظيم الرواق صغير الأخلاق.  
اصحب الناس بمكارم الأخلاق، فإن الثواء بينهم قليل.  
البخيل غناه فقر ومطبخه فقر.  
الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع وأوراق و جذوع وجذور، هي الأخلاق  
الفاضلة بمراتبها.  
الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه.  
من مكارم الأخلاق: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن  
الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم.  
الحسد ثقّل لا يضعه حامله.

العشرة السيئة تفسد الأخلاق الحسنة.

الحسد داء لا يبرأ منه.

يمكن للإنسان أن يدخل قلوب الآخرين دون أن ينطق بكلمه واحدة، إذ يكفيه سلوكه الناطق بالصفات الكريمة والأخلاق الحميدة.

الحسد والنفاق والكذب أثافي الذل.

الخاذل أخو القاتل.

الشرير لا يظن بالناس خيراً.

الشماتة بالمنكوب لؤم.

الطبع غلب التطبّع.

العديم من احتاج من اللئيم.

الغضب صدأ العقل.

المزح يجلب الشر صغيراً والحرب كبيرة.

المكر حيلة من لا حيلة له.

إن الذليل من ذل في سلطانه.

إن الشباب والفراغ والجِدّه مفسدة للمرء أي مفسده

إن الغريق بكل حبل يعلق.

إن كنت كذوباً فكن ذكوراً.

- إنك تضرب في حديد بارد.  
أول الغضب جنون وآخره ندم.  
إياك أعني واسمعي يا جارة.  
بئس الشعار الحسد.  
بدن فاجر وقلب كافر.  
بغات الطير أكثرها فراخاً.  
حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها.  
حبل الكذب قصير.  
خير الأصدقاء من ترك المزاح.  
ذلّ من يغيظ الذليل بعيش.  
ريح صيف وطارق طيف.  
سائل البخيل محروم وماله مكتوم.  
سكت دهرًا ونطق كفرًا.  
شر الحديث الكذب.  
شر السمك يكدر الماء.  
شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.  
قد ينبت الشوك وسط الزهور.

- كثرة الضحك تذهب الهيبة.  
كلام كالعسل ووغز كالأسل.  
لا تمدن إلى المعالي يداً قصرت عن المعروف.  
لا خير فيمن لا يدوم له أحد.  
لا رأي لمن لا يطاع.  
لا رأي لكذوب.  
لا راحة لحسود.  
لا في العير ولا في النفير.  
لا مروءة لبخيل.  
لا يثمر الشوك العنب.  
لا يحمل الحقد من تعلق به الرتب.  
لا يرضى عنك الحسود حتى تموت.  
لا يشكر الناس من لا يشكر الله.  
لله در الحسد ما أعدلُه  
بداً بصاحبه فقتلُه  
ليس للحاسد إلا ما حسد.  
من أطاع غضبه أضع أدبه.  
من أوقد نار الفتنة احترق بها.

مَنْ حَسَنَ مِنْ دُونِهِ فَلَا عِذْرَ لَهُ.

مَنْ ظَهَرَ غَضَبَهُ قَلَّ كَيْدُهُ.

مَنْ فَاتَهُ الْأَدَبُ لَمْ يَنْفَعِهِ الْحَسَبُ.

مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ.

مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْزِلِ الْأَمَالَ.

مَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ احْتَرَسَ مِنْ عَدُوِّهِ.

نَفَاقُ الْمَرْءِ مِنْ ذُلِّهِ.

كِدَاءُ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

وَلَكِنْ كَسَاهُ اللَّهُ ثُوبَ غَطَاءٍ

فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةٌ هَجَانِي

فَقَدْ صَرَّتْ فِيكَ أَدَمُ الزَّمَانَا

وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ

فِي النَّاسِ شَرٌّ لَوْ بَدَأَ مَا تَعَاشَرُوا

وَكَمْ عَلِمْتَهُ نَظْمَ الْقَوَافِي

وَكَنتِ أَدَمُ إِلَيْكَ الزَّمَانِ

وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ.

وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ.

يَأْكُلُونَ تَمْرِي وَأُرْمَى بِالنُّوَى.

يَكْفِيكَ مِنَ الْحَاسِدِ أَنَّهُ يَعْتَمُّ عِنْدَ سُرُورِكَ.

## انهيار الأخلاق انهيار للأمم والحضارات

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا  
 إن انهيار الأخلاق والقيم هو السبب الرئيس في انهيار الأمم، والذي يستقرئ  
 التاريخ يرى تلك الحقيقة، يقول ابن خلدون: "إذا تأذن الله بانقراض الملك من  
 أمة حملهم على ارتكاب المذمومات، وانتحال الرذائل وسلوك طريقها، وهذا  
 ما حدث في الأندلس، وأدى فيما أدى إلى ضياعه"<sup>(١)</sup>.

وهذا ما قرره الله تعالى في كتابه في غير ما آية منه، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا  
 أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا  
 مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴿١٧﴾ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٨﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ما الذي غرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟  
 وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض،  
 كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحرثهم  
 وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

(١) مقدمة ابن خلدون، (ص ٧).

(٢) "سورة الإسراء، الآيات ١٦-١٧ .

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم،  
وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم،  
فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها  
عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمةٍ غيرهم. ولإخوانهم  
أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟!

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق  
رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلتظي؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم،  
فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بألوان العقوبات، ودمرها تدميرًا؟

إنه الانحلال الأخلاقي، والوقوع في بحار المعصية، قال الله سبحانه: ﴿ظَهَرَ  
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>

(١) سورة الروم، الآية ٤١ .

وها هو النبي ﷺ يبين لنا في خماسية الشقاء الاجتماعي التي متى ضربت أمة أهلكتها وجعلت عاقبة أمرها خسرًا.

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: (كنتُ عاشراً عشرة من المهاجرين عند رسول الله ﷺ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «يا معشر المهاجرين، خمسٌ خصال وأعوذ بالله أن تدركوهنّ: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتُلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا. ولا نقص قومٌ المكيالَ والميزانَ إلا ابتُلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان. وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطرَ من السماء، فلولا البهائم لم يُمطروا. ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم»<sup>(١)</sup>).

رواه ابن ماجه ، وفي الإسناد: ابن أبي مالك، واسمه: خالد بن يزيد.

قال الذهبي رحمه الله: "خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، أبو هاشم الهمداني الدمشقي. عن: أبيه، وعطية بن الحارث. وعنه: ابن أبي الحواري، وهشام الأزرق. ضعّفوه". انتهى<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه (٢-١٣٣٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٥-٢٢) والحاكم في المستدرک (٤-

٥٨٢) والطبراني في المعجم الأوسط (٥/٦١-٦٢) وفي "مسند الشاميين" (٢/٣٩٠).

(٢) الكاشف، (١/٣٧٠).

وقال الحافظ ابن حجر **رحمه الله** : "خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، وقد ينسب إلى جد أبيه، أبو هاشم الدمشقي، ضعيف مع كونه كان فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين". انتهى<sup>(١)</sup>.

لكن ورد له طريق آخر يتقوى بها، وهو ما رواه الطبراني في "المعجم الأوسط". وفي "مسند الشاميين. والحاكم في "المستدرک": عن الهيثم بن حميد، أخبرني أبو معبد حفص بن غيلان، عن عطاء بن أبي رباح، قال: كنت مع عبد الله بن عمر، فقال: ... فأقبل علينا النبي ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إن ابتليتم بهن، ونزلن فيكم، أعوذ بالله أن تدركوهن..» الحديث.

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وحسنه الشيخ الألباني **رحمه الله** ، حيث قال: "قلت: بل هو حسن الإسناد، فإن ابن غيلان هذا قد ضعفه بعضهم، لكن وثقه الجمهور، وقال الحافظ في "التقريب": "صدوق فقيه، رمي بالقدر".

ورواه الروياني في "مسنده" عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر مرفوعاً<sup>(٢)</sup>. وهذا سند ضعيف، عطاء هذا هو ابن أبي مسلم الخراساني،

(١) تقريب التهذيب، (ص ١٩١).

(٢) مسند الروياني (ق ٢٤٧ / ١).

وهو صدوق، لكنه مدلس، وقد عنعنه. وابنه عثمان ضعيف؛ كما في "التقريب".

فهذه الطرق كلها ضعيفة؛ إلا طريق الحاكم فهو العمدة، وهي إن لم تزده قوة فلا توهنه". انتهى<sup>(١)</sup>.

وكذا حسنه محققو سنن ابن ماجه- طبعة الرسالة<sup>(٢)</sup>.

ومعنى الحديث له شواهد من الوحي، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الطبري رحمه الله :

"يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾<sup>(٤)</sup> من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم، ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> من ذلك، بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، فَتَحَلَّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره". انتهى<sup>(٦)</sup>.

وقال الشيخ المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

(١) السلسلة الصحيحة، (٢١٨/١).

(٢) سنن ابن ماجه- طبعة الرسالة، (١٥٠/٥).

(٣) سورة الرعد، الآية ١١.

(٤) سورة الرعد، الآية ١١.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٥٣.

(٦) تفسير الطبري، (٤٧١/١٣).

" بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه لا يغير ما يقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة الله عز وجل .

والمعنى: أنه لا يسلب قومًا نعمة أنعمها عليهم، حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح، وبيّن هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> الآية، وقوله ﷺ: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup> "... انتهى"<sup>(٣)</sup>.

وهذه العقوبات تحدث إذا كثرت هذه الذنوب.

عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبِئْسَ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ افْتَرَبَ، فَفُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ -وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا-»، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كُنَّ الْحَبْتُ»<sup>(٤)</sup>.

وكذا إذا ظهر الفساد من البعض فسكت البقية ولم ينهوا عنه.

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٣ .

(٢) سورة الشورى: ٣٠ .

(٣) أضواء البيان، (٣/ ١١٥).

(٤) رواه البخاري (٤- ١٣٢) برقم (٣٣٤٦). ومسلم (٤- ٢٢٠٧) برقم (٢٨٨٠).

عَنْ قَبِيْسٍ قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وَإِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَمْرُونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَدَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأَسَا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَآتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَدَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الذنوب المذكورة في الحديث عند تأمل عقوباتها، نرى أنها من جنسها، فالجزاء من جنس العمل.

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٥ .

(٢) رواه أحمد ، (١٧٨/١). وأبو داود، برقم (٤٣٣٨) وابن ماجه (٢ - ١٣٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١ - ٣٩٨).

(٣) رواه البخاري (٣ - ١٨١) برقم (٢٦٨٦).

قال ابن القيم **رحمه الله** : "قالوا: وقد دل الكتاب والسنة في أكثر من مائة موضع على أن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا ۝١٦﴾<sup>(١)</sup> أي: وفق أعمالهم، وهذا ثابت شرعاً وقدرًا". انتهى<sup>(٢)</sup>.

فظهر الفواحش والتعالي بها من شأنه أن ينزل عقاباً يكافئ ملذتها.

وظلم الناس لبعضهم البعض في أرزاقهم بالغش والخداع في الميزان، تقابله عقوبة حبس الرزق بالجفاف والمجاعات وظلم السلطان للرعية.

ومنع الناس لذكواتهم وحرمانها المحتاجين لها، يعاقب الناس عليه بعقوبة من جنس ذنبهم هذا فتحبس عنهم نعمة المطر.

ومباشرة الناس للغدر ونقض العهود، يعاقبون عليه بجنس هذا الذنب، وذلك بغدر الأعداء بهم وهجومهم عليهم.

وعدم حكم الأئمة بالشرع، هو في حقيقته رفع للعدل والعلم، ونشر للجهل والتظالم.

قال ابن القيم **رحمه الله** : "وقد جعل الله سبحانه أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بد منه: فجعل منع الإحسان والزكاة والصدقة سبباً لمنع الغيث من السماء، والقحط والجذب.

(١) سورة النبأ، الآية ٢٦ .

(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، (١٢/١٧٦).

وجعل ظلم المساكين، والبخس في المكايل والموازين، وتعدي القوي على الضعيف، سبباً لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون إن استرحموا، ولا يعطفون إن استعطفوا، وهم في الحقيقة أعمال الرعايا ظهرت في صور ولاتهم، فإن الله سبحانه بحكمته وعدله يظهر للناس أعمالهم في قوالب وصور تناسبها، فتارة بقحط وجذب، وتارة بعدو، وتارة بولاة جائرين، وتارة بأمراض عامة، وتارة بهموم وآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها، وتارة بمنع بركات السماء والأرض عنهم، وتارة بتسليط الشياطين عليهم تؤزهم إلى أسباب العذاب أژاً، لتحق عليهم الكلمة، وليصير كل منهم إلى ما خلق له.

والعاقل يُسَيَّر بصيرته بين أقطار العالم فيشاهده، وينظر مواقع عدل الله وحكمته، وحينئذ يتبين له أن الرسل وأتباعهم خاصة على سبيل النجاة، وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون، وإلى دار البوار صائرون، والله بالغ أمره، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، وبالله التوفيق". انتهى<sup>(١)</sup>.

## الكأس والغانية

قصة انهيار الأندلس: فشبابنا يعانون من حرب ضروس من الغرب والعلمانية، بدأت هذه الحرب منذ مئات السنين، وبدأت واضحة عندما أرادوا استعادة بلاد الأندلس من المسلمين، فأرسلوا جاسوساً لهم إلى بلاد الأندلس ليعلموا هل حان الوقت للغزو أم لا؟

فذهب الجاسوس فأول ما قابل قابل شاباً على صخرة يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن صاحبي يصيب هدفين بسهم واحد وأنا أصيب هدفاً بسهم.

فعاد الجاسوس إليهم وقال لهم: لم يحن الوقت بعد لغزو بلاد الأندلس.

ففكر الغرب جيداً كيف يكون لهم النصر، فعلموا وتأكدوا أن هذا لن يكون إلا بضرب العمود الفقري وهو الشباب، ثم أخذوا في الكيد للشباب، وبعد مرور بضع سنوات أرسلوا جاسوساً آخر، فأول ما قابل قابل شاباً يبكي، فسأله: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن حبيبتي تركتني ولم تأت في موعتها.

فعاد الجاسوس وقال لهم: الآن.. الآن حان وقت الغزو. وقد كان ما كان وأصبحت بلاد الأندلس لهم.

فمع وجود الغزو الفكري الذي يعد استعماراً لعقولنا، كما قال أحد اليهود: كأس وغانية نملك بهما المجتمع المسلم، وصلنا إلى ما وصلنا إليه، وترتب على ذلك

## الأبغوز حديثاً في مكارم الأخلاق

العنف بين الأزواج، والسعار الجنسي الذي ابتلي به الكثيرون، وقضية تبادل الأزواج، والدعارة المنتشرة، وقانون الطفل الذي يسمح للابن بأن يشتكي والده في قسم الشرطة، ومن جهة أخرى نجد من يهدمون قيم الإسلام ويتلاعبون بثوابته.

قال شوقي رحمه الله :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا



## كيف نسمو بأخلاقنا

الأخلاق ركنٌ مهمٌّ في حياة الفرد والمجتمع، وهي مقومٌ أساسٌ في الحضارة الإنسانية؛ باعتبارها تدخل ضمن البنية الاجتماعية، وأخلاق الفرد تتبادل التأثير والتأثير مع أخلاق المجتمع.

وقد جعل الرسول ﷺ الهدف الأعظم من رسالته وبعثته إتمام مكارم الأخلاق، فقال: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>، وعدَّ البرَّ مَجْمَعَ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا، فقد سأله النّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن البرِّ، فقال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخَلْقِ»<sup>(٢)</sup>، وأحكَمَ الصِّلَةَ الْقَوِيْمَةَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَرْبِطَ بَيْنَ الْأَفْرَادِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَالْعَلَاقَةَ الْفَاضِلَةَ الَّتِي تَصِلُ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْآخَرِينَ، فقال رسول الله ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ»<sup>(٣)</sup>.

الأخلاق والعقيدة صنوان في الإسلام، فقد ربط القرآن بينهما، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ۝ ١ فُرُّ فَأَنْذِرْ ۝ ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ ٥ وَلَا

(١) تقدم تخريجه ص ٦ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٩ .

(٣) رواه أحمد (٣٥ - ٢٨٤) والترمذي (٤ - ٣٥٥) والدارمي (٣ - ١٨٣٧) والحاكم (١ - ١٢١) وحسنه الألباني في المشكاة (٣ - ١٤٠٩) .

تَمُنْ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾<sup>(١)</sup>، وأمر رسول الله ﷺ بأن يكون لِينًا رَفِيقًا بِأَمَّتِهِ، قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٥﴾<sup>(٢)</sup>، ولذا كانت دعوته إلى فضائل الأخلاق دعوةً زاكيةً، فقد سئل رسول الله: من أحبُّ عباد الله تعالى قال رسول الله ﷺ: «أحسنهم خلقًا»<sup>(٣)</sup>.

والغاية التي يرشد الإسلام من الالتزام بالسلوك الأخلاقي - كما في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهّرة - تقوم على عنصرين:

**الأول:** اكتسابُ مرضاة الله عز وجل، وابتغاءُ ثوابه وعطائه حبًّا ورضًا، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>. وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتِغَى بِهِ وَجْهُهُ»<sup>(٥)</sup>.

**الثاني:** تحقيق السعادة في الدارين؛ الدنيا والآخرة، والنجاة من الشقاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾<sup>(٦)</sup>.

وإليك -أخي- بعض أخلاق رسول الله الذي كان خُلُقُه القرآن، والذي كان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقًا»:

(١) سورة المدثر، الآيات ١-٧ .

(٢) سورة الشعراء: ٢١٥ .

(٣) رواه ابن ماجه، برقم (٣٤٣٦). وأحمد، برقم (١٨٤٥٤).

(٤) سورة البقرة: ٢٧٢ .

(٥) رواه النسائي، (٢٥ / ٦) برقم (٣١٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢).

(٦) سورة الانفطار ، الآية ١٣ .

عن أنس رضي الله عنه قال: «خدمتُ النبيَّ عشرَ سنينَ، والله ما قال لي: أفَّ قَطُّ، ولا قال لشيءٍ: لمَ فعلتَ كذا؟ وهلاً فعلتَ كذا»<sup>(١)</sup>.

وتقول عائشة رضي الله عنها: «ما خَيْرُ رسولِ الله بين أمرينِ إلا اختارَ أيسرَهما، ما لم يكنِ إثمًا<sup>(٢)</sup>، وما ضربَ رسولُ الله شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأةً ولا خادماً»<sup>(٣)</sup>.

ولذلك أمر الله المسلمين بأن يقتدوا به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

إنَّ من العسير أن يحيط إنسانٌ بالقيم الأخلاقية الإسلامية في القرآن والسنة وتاريخ الفكر الإسلامي؛ ذلك أنَّ الأخلاق في الإسلام تقوم على قاعدة الإيثار، وتزْفُض الأثرة، وتحضُّ على الجماعية في الغايات، وتحاربُ الأنانية، وتدعو إلى تزكية النفس بالفضائل والسلوك الحسن، وتندُر من تشويه النفوس بالهوى والشهوة.

لقد عرفهم الله تعالى أنَّ الأخوةَ نعمةٌ من الله، جاءت تَشُدُّ أوامر الصلة بين المسلمين بعد طول عهد التنازع والاقنتال، ولقد جاء الخطابُ الإلهيُّ لهم:

(١) رواه مسلم (٤ - ١٨٠٤) برقم (٢٣٠٩).

(٢) رواه البخاري (٤ - ١٨٩) ومسلم (٤ - ١٨١٣).

(٣) رواه مسلم (٤ - ١٨١٤).

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٢١..

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ قَائِلٍ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(١)</sup>.

إنَّ للأخلاق قيمةً لا يُدانيها شيءٌ آخرُ في التشريع الإسلامي؛ لأنها تحقِّق الصلاح والرحمة، والتآخي والمحبة، وشتى أنواع الفضائل، وتلغي الفساد والظلم، والتباغُضَ والكراهية، وشتى أنواع الرذائل.

والسمو يكون من خلال النقاط الآتية:

**المحور الأول المحور العقدي:** فالبناء العقدي للفرد والمجتمع هو السياج الذي يحميه من هوة الرذيلة ومن الانحراف الأخلاقي.

فالتعبد لله تعالى بأسمائه وصفاته ينمي ويزكي أخلاق الفرد والمجتمع.

فالله هو السميع: إذن فلن أتكلم إلا بما يحب الله تعالى، فلا غيبة، ولا نميمة ولا كذب ولا سخرية.

والله هو البصير: إذن فلن يراني الله تعالى حيث نهاني، ولن يفتقدني حيث أمرني.

والله سبحانه هو العليم الذي يعلم السر وأخفى: إذن فلن أحمل في قلبي حقداً ولا حسداً ولا بغضاء.

والله سبحانه هو الرقيب: إذن كل حركة وسكنة محسوبة بحساب دقيق.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ      خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ  
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى      وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ  
لَهُؤُنَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ      ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ  
فِيَا أَلَيْتَ أَنْ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى      وَيَأْذُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتَنْوِبُ

### توبة شاب مسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم:

وروي أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم فقال له: يا أبا إسحاق إني مسرف على نفسي، فاعرض علي ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي، قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك لذة، قال: هات يا أبا إسحاق، قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصي الله ﷻ فلا تأكل رزقه، قال: فمن أين أكل وكل ما في الأرض من رزقه؟ قال له: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟! قال: لا، هات الثانية، قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده، قال الرجل: هذه أعظم من الأولى، يا هذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟ قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟! قال: لا، هات الثالثة، قال: إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه، قال: يا إبراهيم كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟ قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟! قال: لا، هات الرابعة، قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرجني حتى أتوب توبة

نصوحًا، وأعمل لله عملاً صالحًا، قال: لا يقبل مني، قال: يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟! قال: هات الخامسة، قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم، قال: لا يدعونني، ولا يقبلون مني، قال: فكيف ترجو النجاة إذًا؟! قال له: يا إبراهيم حسبي.. حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه. ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما<sup>(١)</sup>.

وإذا خلوت بريية في ظلمة      والنفس داعية إلى الطغيان  
فاستحي من نظر الإله وقل لها      إن الذي خلق الظلام يراني  
وقال الشاعر:

الله يعلم كل ما تضرر      يعلم ما تخفي وما تظهر  
وإن خدعت الناس لم تستطع      خداع من يطوي ومن ينشر

**المحور الثاني المحور التعبدي:** فالله تعالى شرع الشرائع وفرض الفرائض وجعلها سببًا من أسباب تزكية النفوس وتطهير الأخلاق.

(١) انظر موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (٢- ٣٠١) والتواوين لابن قدامة (١٠ ١٦٩) .

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر:

يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟»، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»<sup>(٢)</sup>.

والزكاة تطهر صاحبها من الشح والبخل والأثرة:

يقول تعالى: ﴿حُذِّمْنَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ صَالَاتِكَ سَكِّنُ لَّهُمْ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٣﴾<sup>(٣)</sup>.

والصوم يُنبت التقوى ويحصن المرء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥ .

(٢) رواه البخاري، (١- ١١٢) برقم (٥٢٨). ومسلم (١- ٤٦٢) برقم (٦٦٧).

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠٣ .

أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم»<sup>(١)</sup>.

والحج تربية وتهذيب وتأديب:

يقول تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَعَلَّوْا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الشَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

**المحور الثالث محور المجاهدة:** وهو أن يجاهد نفسه ويديرها على الأخلاق الفاضلة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، من يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه»<sup>(٤)</sup>.

يقول الغزالي في الإحياء: "الأخلاق على ضربين: فمنها ما هو غريزي جبلي، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدربة والممارسة والرياضة والمجاهدة،

(١) رواه البخاري (٣-٢٦) برقم (٥٩٢٧). ومسلم (٢-٨٠٧) برقم (١١٥١) مطولاً.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٣-١١٨) والبيهقي في شعب الإيمان (١٣-٢٣٦) وأبو نعيم في الحلية

(٥-١٧٤) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١-٦٧٠) برقم (٣٤٢).

ولو كانت الأخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواظب والتأديبات، وهذا المسك يحتاج إلى تكرار ودوام حتى يؤتي أثره. وهذا الدوام يستلزم الصبر، فعلى الإنسان الذي يريد التخلق بنوع من الأخلاق الحسنة أن يتجمل بالصبر، فإذا صبر ودوام انقادت نفسه وألفت الفعل.

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

**المحور الرابع محور القدوة:** قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝١٥﴾<sup>(١)</sup> ، ثم أمره بأن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدُهُ ۝٢١﴾<sup>(٢)</sup> .

وذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه محامد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وفضائلهم، ووجوب الاقتداء بأفعالهم الحميدة وأخلاقهم النبيلة فقال: "من كان مستنًا، فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٠ .

على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (١).

وكان أبو مسلم الخولاني قد علّق سوطاً في مسجد بيته يخوّف به نفسه، وكان يقول لنفسه: "قومي، فوالله لأزحفن بك زحفاً، حتى يكون الكلل منك لا مني، فإذا دخلت الفترة (الفتور) تناول سوطه وضرب به ساقه، وقال: أنت أولى بالضرب من دابتي".

وكان يقول: "أيظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا؟! كلاً والله لنزاحمّهم عليه زحاماً، حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً".  
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبّه بالكرام فلاح

(١) شرح السنة للبعوي، (ج ٢ ص ٤١٤).

## الحديث التاسع والعشرون:

فضل الشفاعة وقضاء حوائج الناس

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «اشْفَعُوا تُوجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ». وفي رواية: «ما شاء» [صحيح] (١).

### الشرح:

هذا الحديث متضمن لأصل كبير وفائدة عظيمة، وهو أنه ينبغي للعبد أن يسعى في أمور الخير، سواء أثمرت مقاصدها ونتائجها أو حصل بعضها، أو لم يتم منها شيء. وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء، ومن تعلقت حاجاتهم بهم، فإن كثيراً من الناس يمتنع من السعي فيها إذا لم يعلم قبول شفاعته. فيقوت على نفسه خيراً كثيراً من الله، ومعروفاً عند أخيه المسلم.

فهذا أمر النبي ﷺ أصحابه أن يساعدوا أصحاب الحاجة بالشفاعة لهم عنده ليتعجلوا الأجر عند الله، لقوله: (اشفعوا توجروا)، فإن الشفاعة الحسنة محبوبة لله، ومرضية له، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ

(١) صحيح البخاري (٢-١١٣) برقم (١٤٣٢).

مِنْهَا<sup>(١)</sup>، ومع تعجّله للأجر الحاضر فإنه أيضاً يتعجّل الإحسان وفعل المعروف مع أخيه، ويكون له بذلك عنده يد.

وأيضاً، فلعل شفاعته تكون سبباً لتحصيل مراده من المشفوع له أو لبعضه، فالسعي في أمور الخير والمعروف التي يحتمل أن تحصل أو لا تحصل خير عاجل، وتعويد للنفوس على الإعانة على الخير، وتمهيد للقيام بالشفاعات التي يتحقق أو يُظن قبولها.

قوله: (ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء) أي: ما أراد مما سبق في علمه من وقوع الأمر وحصوله أو عدمه.

فالمطلوب: الشفاعة. والثواب مرتب عليها، سواء حصل المشفوع به أو قام مانع من حصوله.

### معاني الكلمات:

اشفَعُوا: (الشفاعة) التوسط لقضاء حوائج الناس.

يقضي الله: (القضاء) الحكم والأداء.

### من فوائد الحديث:

- الترغيب في الشفاعة لما فيها من الأجر، سواء أفضيت الحاجة أم لا.

(١) سورة النساء ، الآية ٨٥ .

## الأبغون خلدنا في مكارم الأخلاق

- لا شفاعة في حدود الله تعالى إذا وصل أمرها إلى الحاكم.
- رحمة النبي ﷺ في حصول الخير لأمته بكل طريق.
- حصول الأجر للشافع، سواء قُضيت حاجة المشفوع أو لم تقض.
- لا يقع إلا ما أراد الله تعالى.

\

## الحديث الثلاثون

### أخلاق المسلمين في الحرب

عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَعْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيُّهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلُّهُمْ الْجَزِيَّةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَأَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ

لا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا. وفي رواية: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا، أَوْ سَرِيَّةً دَعَاهُ فَأَوْصَاهُ. (١).

### بيان معاني الحديث

أَمَّرَ أَمِيرًا: جَعَلَ شَخْصًا أَمِيرًا، وَالْأَمِيرُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ كَانَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى التَّنْفِيزَ وَالْحُكْمَ وَالْفَتْوَى وَالْإِمَامَةَ.

جَيْشٌ أَوْ سَرِيَّةُ الْجَيْشِ: مَا زَادَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ،

وَالسَّرِيَّةُ: هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتُغَيَّرُ عَلَى الْعَدُوِّ وَتَرْجَعُ إِلَيْهِ، أَوْ فِرْقَةٌ يَسِيرُ بِهَا جَيْشٌ، وَحَدَّدَهَا بَعْضُهُمْ بِأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ.

أَوْصَاهُ الْوَصِيَّةُ: الْعَهْدُ بِالشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِهْتِمَامِ بِهِ.

تَقْوَى اللَّهِ: هِيَ امْتِثَالُ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ.

وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا أَوْصَاهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَسْأَلُكَ بِهِمُ الْأَسْهَلَ، وَيَطْلُبُ لَهُمُ الْأَخْصَبَ إِذَا كَانُوا عَلَى إِبِلٍ أَوْ خَيْلٍ، وَيَمْنَعُ عَنْهُمْ الظُّلْمَ، وَيَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) رواه مسلم (٣/١٣٥٧)

اغزوا باسم الله اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله -تعالى-.

في سبيل الله: في طاعته ومن أجله.

من كفر بالله أي: لأجل كفرهم، وخص منه من لا يجوز قتله من الكفار: كالنساء، ومن له عهد، ونحو ذلك.

لا تغلوا الغلول: الأخذ من الغنيمة قبل قسئتها، وأصل الغلول: الخيانة.

ولا تغدروا: لا تنقضوا العهد.

ولا تمثلوا التمثيل: تشويه القتل بقطع أنف وأذن ونحو ذلك.

وليداً المراد بالوليد هنا: من لم يبلغ سن التكليف.

لقيت عدوك من المشركين: فابلته أو وجدته. والعدو: ضد الولي، والولي: من يتولى أمورك، ويعتني بك بالنصر والدفاع وغير ذلك، والعدو يخذلك ويبتعد عنك، ويعتدي عليك ما أمكنه.

والمشركين: يدخل فيه كل الكفار، حتى اليهود والنصارى.

ثلاث خلال أو خصال أصل الخصلة أو الخلة: خلق في الإنسان يكون حسناً أو سيئاً.

ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين اطلب منهم الانتقال إلى بلد المهاجرين في العهد النبوي، وهي المدينة النبوية

فلهم ما للمهاجرين أي: في استحقاق الفيء والغنيمة، والفيء: هو ما حصّل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد.

والغنيمة: هي ما يحصل للمسلمين من أموال أهل الحرب.

ما على المهاجرين من الجهاد وغيره.

أبوا امتنعوا عن الدخول في الإسلام.

حاصرت أهل حصن الحصن: كل مكان محميّ محرز، وحاصرتهم: ضيقت عليهم وأحطت بهم.

كأعراب المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو.

ذمة الله وذمة نبيه الذمة هنا العهد.

أن تخفروا ذممكم تنقضوا عهودكم.

### الشرح والبيان

إن سياسة الإسلام في الحرب لا تنفصل عن الأخلاق؛ فالحرب لا تعني إلغاء الشرف في الخصومة، والعدل في المعاملة، والإنسانية في القتال وما بعد القتال.

إن الحرب ضرورة تفرضها طبيعة الاجتماع البشري، وطبيعة التدافع الواقع بين البشر الذي ذكره القرآن الكريم بقوله: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

بِبَعْضٍ لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا {<sup>(١)</sup>  
 }وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى  
 الْعَالَمِينَ {<sup>(٢)</sup>.

ولكن ضرورة الحرب لا تعني الخضوع لغرائز الغضب والحمية الجاهلية  
 وإشباع نوازع الحقد والقسوة والأنانية. إذا كان لا بد من الحرب؛ فلتكن حرباً  
 تضبطها الأخلاق، ولا تسيرها الشهوات، لتكن ضد الطغاة والمعتدين لا ضد  
 البراء والمسالمين.

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {<sup>(٣)</sup>  
 }وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا  
 عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
 الْعِقَابِ {<sup>(٤)</sup>

إذا كان لا بد من الحرب؛ فلتكن في سبيل الله، وهو السبيل الذي تعلق به كلمة  
 الحق والخير - لا في سبيل الطاغوت - الذي تعلق به كلمة الشر والباطل،

(١) سورة الحج ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٠ .

(٤) سورة المائدة الآية ٢ .

{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} (١)

لتكن من أجل استنفاد المستضعفين، لا من أجل حماية الأقوياء المتسلطين: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} (٢).

ولتتقيد الحرب بأخلاق الرحمة والسماحة، ولو كانت مع أشد الأعداء شنائاً للمسلمين، وعتوا عليهم، وإذا كان كثير من قادة الحروب وفلاسفة القوة، لا يباليون أثناء الحرب بشيء إلا التنكيل بالعدو وتدميره، وإن أصاب هذا التنكيل من لا ناقة له في الحرب ولا جمل؛ فإن الإسلام يوصي ألا يقتل إلا من يقاتل، ويحذر من الغدر والتمثيل بالجثث وقطع الأشجار، وهدم المباني، وقتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان المنقطعين للعبادة والمزارعين المنقطعين لحراثة الأرض.

وفي هذا جاءت آيات القرآن الكريم، ووصايا الرسول الكريم، وخلفائه الراشدين، ففي القرآن: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (٣)، وفي السنة كان النبي ﷺ يوصي أصحابه إذا توجهوا

(١) سورة النساء ، الآية ٧٦ .

(٢) سورة النساء الآية ٧٥ .

(٣) سورة البقرة: ١٩٠ .

للقِتال بقوله: "اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً"<sup>(١)</sup>...

وكذلك كان الخلفاء الراشدون المهديون من بعده يوصون قوادهم: ألا يقتلوا شيخاً، ولا صبيّاً، ولا امرأة، وألا يقطعوا شجراً، ولا يهدموا بناءً"، بل نهوهم أن يتعرضوا للرهبان في صوامعهم، وأن يدعوهم وما فرغوا أنفسهم له من العبادة.

يذكر المؤرخون المسلمون أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه - في المعارك الكبرى التي دارت بين المسلمين والإمبراطوريتين العتيدتين فارس والروم - أرسل إليه رأس أحد قادة الأعداء من قلب المعركة إلى المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وكان القائد يظن أنه يسر بذلك الخليفة، ولكن الخليفة غضب لهذه الفعلة لما فيها من المثلة، والمساس بكرامة الإنسان فقالوا له: إنهم يفعلون ذلك برجالنا، فقال الخليفة في استنكار: أستنان بفارس والروم؟ لا يُحمل إلى رأس بعد اليوم!

وبعد أن تضع الحرب أوزارها، يجب ألا يُنسى الجانب الإنساني والأخلاقي في معاملة الأسرى وضحايا الحرب. يقول الله تعالى في وصف الأبرار من

(١) رواه مسلم (٣/١٣٥٧)

عباده: { وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا }<sup>(١)</sup>.

وإن سياسة الإسلام في الحرب لا تنفصل عن الأخلاق؛ فالحرب لا تعني إلغاء الشرف في الخصومة، والعدل في المعاملة، والإنسانية في القتال وما بعد القتال.

إن الحرب ضرورة تفرضها طبيعة الاجتماع البشري، وطبيعة التدافع الواقع بين البشر الذي ذكره القرآن الكريم بقوله: { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا }<sup>(٢)</sup> ، { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ }<sup>(٣)</sup>.

ولكن ضرورة الحرب لا تعني الخضوع لغرائز الغضب والحمية الجاهلية وإشباع نوازع الحقد والقسوة والأنانية. إذا كان لا بد من الحرب؛ فلتكن حرباً تضبطها الأخلاق، ولا تسيرها الشهوات، لتكن ضد الطغاة والمعتدين لا ضد البراء والمسالمة.

(١) سورة الإنسان ، الآيات ٨-٩ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٤٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥١ .

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (١)،  
 {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا  
 عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
 الْعِقَابِ} (٢).

إذا كان لا بد من الحرب؛ فلتكن في سبيل الله، وهو السبيل الذي تعلق به كلمة  
 الحق والخير - لا في سبيل الطاغوت - الذي تعلق به كلمة الشر والباطل،  
 {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ  
 فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} (٣).

لتكن من أجل استنفاد المستضعفين، لا من أجل حماية الأقوياء المتسلطين:  
 {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ  
 الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا  
 وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} (٤).

ولتنفيذ الحرب بأخلاق الرحمة والسماحة، ولو كانت مع أشد الأعداء شنأناً  
 للمسلمين، وعتوا عليهم، وإذا كان كثير من قادة الحروب وفلاسفة القوة، لا  
 يبالون أثناء الحرب بشيء إلا التنكيل بالعدو وتدميره، وإن أصاب هذا التنكيل

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٧٦.

(٤) سورة النساء، الآية ٧٥.

من لا ناقة له في الحرب ولا جمل؛ فإن الإسلام يوصي ألا يقتل إلا من يقاتل، ويحذر من الغدر والتمثيل بالجثث وقطع الأشجار، وهدم المباني، وقتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان المنقطعين للعبادة والمزارعين المنقطعين لحراثة الأرض..

سادساً: عدم التمثيل بالميت:

فقد نهى رسول الله ﷺ عن المثلة، فروى عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: "نهى النبي ﷺ عن النهبى، والمثلة" (١).

النهبى: أخذ المرء ما ليس له جهاراً، والمثلة: التنكيل بالمقتول، بقطع بعض أعضائه).

وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ يحثنا على الصدقة، وينهانا عن المثلة" (٢).

ورغم ما حدث في غزوة أحد من تمثيل المشركين بحمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه ﷺ لم يغير مبدأه، بل إنه ﷺ هدد المسلمين تهديداً خطيراً

(١) رواه البخاري (٣ - ١٣٥)

(٢) رواه أبو داود (٣ - ٥٣) وأحمد (٣٣ / ٢٠٢) وابن حبان (١٠ / ٣٢٤) وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧ / ٢٩١)

إن قاموا بالتمثيل بأجساد قتلى الأعداء، فقال: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة: رجل قتله نبي، أو قتل نبياً، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين"<sup>(١)</sup>.  
 . ولم ترد في تاريخ رسول الله ﷺ حادثة واحدة تقول بأن المسلمين مثلوا بأحد من أعدائهم.

هذه هي أخلاق الحروب عند المسلمين.. تلك التي لا تلغي الشرف في الخصومة، أو العدل في المعاملة، ولا الإنسانية في القتال أو ما بعد القتال.  
 كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة؛ عزيمهم وعجمهم، فكان صلى الله عليه وسلم يبعث الجيوش والسرايا ليُعَلِّمَ النَّاسَ بدعوة التوحيد، وليَدْخُلُوا في دين الله عز وجل .

إنَّ شريعة الإسلام هي شريعة الرِّحمة للعالمين، وهي شريعة العدل والسَّماحة في كلِّ الميادين؛ من أجل ذلك لم يكن عجباً أن تجدَ هذه الشريعة تأتي في مسائل القتال والجهاد بقواعد أخلاقية، ومبادئ أدبية لا يملك أيُّ مُنصِفٍ إلا أن يعبّر عن شدة احترامه وإجلاله لهذه الشريعة، والجزم بأنّه لا يمكن لكلِّ ذاك المكنون الأخلاقي إلا أن ينبثق من نور الوحي الإلهي.

ومن هذه القواعد الأخلاقية العظيمة قاعدة: "عدم قتال مَنْ لم يُقاتِلْ"، وهي تابعة في الأساس لقاعدة عظمى؛ وهي قاعدة تحريم الاعتداء على الآخرين بغير حقٍّ، أو التّعدي على الأبرياء بغير ذنب اقترفوه.

(١) رواه أحمد (٦-٤١٣) وصححه إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١-٥٦٩).

من أجل ذلك قرّرت الشريعة الإسلامية: أن قتال الذين لا يشتركون في القتال ولا يقدرون عليه هو نوعٌ من الاعتداء الذي نهى الإسلام عنه، وذمّه وحرّمه، وعده من الجرائم الحربيّة. ومن الأدلة على ذلك:

- قوله الله - تعالى - : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإذا كان أصلُ القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدّين كلّهُ لله، وأن تكون كلمةُ الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتّفاق المسلمين. وأمّا من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصّبيان، والراهب والشيخ الكبير، والأعمى والرّم ونحوهم - فلا يُقتل عند جمهور العلماء إلا أن يُقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحةَ قتل الجميع لمجرّد الكفر إلاّ النساء والصّبيان؛ لكونهم مألّاً للمسلمين. والأوّل هو الصواب؛ لأنّ القتال هو لمن يقاتلنا إذا أردنا إظهارَ دين الله؛ كما قال الله - تعالى - : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٢) (٣).

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠ ..

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٥٤)

ومن الأدلة أيضاً: ما جاء في الصَّحِيحَيْنِ عن نافع: أَنَّ عبدَ الله - رضي الله عنه - أخبره: أَنَّ امرأةً وُجِدَتْ فِي بعضِ مغازي النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مقتولة، فَأَنكَرَ رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ<sup>(١)</sup> وفي لفظ: "فنهى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ"<sup>(٢)</sup>

في الحديث: بيانُ أخلاقِ وآدابِ الغزو.

وفيه: وصِيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَمْرَاءِ الجُيُوشِ قَبْلَ الغزو.

وفيه: تَأْمِيرُ الإمامِ الأَمْرَاءَ عَلَى البُعوثِ.

وفيه: بَيَانُ تَحْرِيمِ الغدْرِ.

وفيه: بَيَانُ تَحْرِيمِ العُلُولِ.

وفيه: بَيَانُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الصِّبْيَانِ إِذَا لم يُقَاتِلُوا.

وفيه: النَّهْيُ عَنِ المِثْلَةِ.

(١) رواه البخاري (٤ - ٦١) ومسلم (٣ - ١٣٦٤)

(٢) رواه البخاري (٤ - ٦١) ومسلم (٣ - ١٣٦٤).

## الحديث الحادي والثلاثون:

من روائع القصص النبوية الصحيحة

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «اشترى رجل من رجل عقاراً، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرةً فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك، إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتَرِ الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعْتُكَ الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: أَلَكُمَا ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكح الغلام الجارية، وأنفقا على أنفسهما منه وتصدقاً» [صحيح] (١).

### الشرح:

يخبرنا النبي ﷺ: أن رجلاً اشترى من رجل أرضاً، فوجد المشتري بها ذهباً، ولشدة ورعه رد هذا الذهب إلى البائع؛ لأنه اشترى الأرض ولم يشتَرِ الذهب الذي أودع فيها، فأبى البائع أيضاً أن يأخذه لشدة تحريه وورعه، ولأنه باع الأرض بما فيها، فاختصما وقالا للقاضي: ابعث من يقبضه وتضعه حيث رأيت، فامتنع، فسألهما: هل عندهما أولاد؟ فأخبر أحدهما أن عنده غلاماً، وأخبر الآخر أن عنده جارية، فاقترح عليهما أن يزوج الشاب البنت وينفق عليهما من هذا الذهب، وأن يتصدقا منه.

(١) رواه البخاري (٤ - ١٧٤) برقم (٣٢٨٥). ومسلم (٣ - ١٣٤٥) برقم (١٧٢١)، وغيرهما.

معاني الكلمات:

العقار: كالأراضي والمنازل والعمائر.

من فوائد الحديث:

- فيه تورع البائع والمشتري، وإنصاف الحاكم بينهما وعدم طمعه.
- وجوب رد الحقوق إلى أهلها إذا عرف أصحابها.
- استحباب نكاح أبناء الرجال الصالحين بعضهم لبعض.
- فضل الورع وترك ما فيه شبهة من المال.
- فضل التصدق والإنفاق في سبيل الله.
- فيه فضل تزويج الشباب، وأنه من الشعائر الدينية العظيمة.
- فيه بيان حكمة القاضي في فصل النزاع بينهما بحيث انصرفا جميعاً بنفس طيبة وقناعة تامة.
- فيه فضل الإصلاح بين المتنازعين، وأن القاضي يستحب له الإصلاح بين المتنازعين كما يستحب لغيره.

## وقفة استراحة

ولو نظرنا إلى السابقين الأولين الذين ملكوا زمام الدنيا ومفاتيح الآخرة حيث عرفوا قدر هذه الأموال، فكانوا لا يحصلونها إلا عن طريق مباح، ولا يصرفونها إلا في طريق نافع، سلكوا في تحصيلها سبيل الورع، وفي تصريفها سبيل الكرم والبذل المحمود، وقد "كان لأبي بكر رضي الله عنه غلام، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ تكهنت في الجاهلية لإنسان وما أحسن الكهانة، ولكني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه. فأدخل أبو بكر يده في فمه فقاء كل شيء في بطنه"<sup>(١)</sup>.

"شرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبناً فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ قال: مررت بإبل الصدقة وهم على ماء فأخذت من ألبانها، فأدخل عمر يده فاستقاء"<sup>(٢)</sup>.

هكذا أيها الأخ المسلم كان سلفنا يخرجون الحرام من بطونهم بعد أكله وهم جاهلون به حين أكلوه، وما ضرهم ذلك، بل ملكوا به خزائن الدنيا ومفاتيح الآخرة، وكانت حياتهم طيبة وعاقبتهم حميدة.

(١) انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١ - ٤٣٧) والورع لابن أبي الدنيا (١ - ٧٤) .

(٢) انظر شعب الإيمان (٧ / ٥١٢) للإمام البيهقي .

الله أكبر، ما أعظم الفرق بيننا وبين هؤلاء! ما أعظم الفرق بين قوم يرون الحرام عياناً فيتجرؤون عليه ويأكلونه لا يباليون من أين أخذوا المال، أمن حلال أم من حرام، فالحلال ما حل بأيديهم، والطريقة المباحة للكسب ما أملتة عليهم أهواؤهم وشهواتهم، سواء وافق ما في كتاب الله وسنة رسوله أم خالفه، يأكلون أموال الناس بالباطل؛ بالكذب، بالغش، بالخيانة، لا يتورعون ولا يتنزهون، إذا اختلفوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، إن من البياعين من يظهر السلعة على أعلى ما يكون من الأصناف الطيبة وهي في باطنها معيبة، يجعل الطيب في أعلاها والرديء في أسفلها، يغش الناس بذلك، ومن غش فليس من أمة محمد، تبرأ منه رسول الله ﷺ، ومن البياعين من يكذب في ثمن السلعة، يقول: اشتريت السلعة بكذا، أو تساوي كذا، وهو كاذب، فيأخذ بذلك زيادة في الثمن؛ لكنها تمحق بركته ويأكلها سحتاً، فاتق الله أيها المسلم، وعامل الناس بالعدل، عاملهم بما تحب أن يعاملوك به، حلل مكاسبك، اجعلها غنيمة لك تعينك على طاعة الله، لا تجعلها غمماً عليك فتفقد بركتها وتستحق عقوبة الله.

## الحديث الثاني والثلاثون:

### قصة الخشبة العجيبة

إثبات كرامات الأولياء، وفضل الأمانة والوفاء بالوعد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسئله ألف دينار، فقال: انتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأنتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم النمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضيت بك، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضيت بك، وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإنني أستودعها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدتُ مركباً قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك

**أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالآلف الدينار راشداً» [صحيح] (١).**

### الشرح:

ذكر رسول الله ﷺ أن رجلاً من بني اسرائيل طلب من رجل آخر من بني اسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال له الرجل: انتني بشهيد يشهد أنك أخذت مني ألف دينار، فقال له الرجل الذي يريد السلف:

«كفى بالله شهيداً» أي: يكفيك ويكفييني أن يكون الله شهيداً علينا، فقال الرجل له: فانتني بضامن يضمنك.

فقال: «كفى بالله كفيلاً» أي: يكفيك أن يكون الله هو الضامن، فقال له: صدقت. فأعطاه الألف دينار إلى وقت محدد. فخرج الذي استلف فركب البحر بالمال يتجر فيه.

فلما جاء الموعد المحدد لسداد الدين بحث عن مركب يركبها حتى يقدم على الذي أسلفه، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فحفرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، وكتب إليه: من فلان إلى فلان، إني دفعت مالك إلى وكيل توكل بي. ثم سوى موضع الحفر وأصلحه، ثم أتى بالخشبة إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت من فلان ألف دينار فسألني كفيلاً، فقلت:

(١) رواه البخاري، (٣- ٩٥) برقم (٢٢٩١).

كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني اجتهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له في ذمتي فلم أقدر على تحصيلها، وإني أتركها عندك وديعة وأمانة. ثم رمى بها في البحر حتى دخلت فيه، ثم انصرف ولكنه ظلّ أيضاً يبحث عن مركب ليذهب إلى بلد الذي أسلفه بألف دينار أخرى؛ ظناً منه أن فعله الأول غير كاف، أما الرجل صاحب المال فخرج في الموعد ينظر لعل مركباً قد جاء بماله الذي أسلفه للرجل، كأن يكون أرسله مع شخص أو جاء به بنفسه، فلم يجد مركباً، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله يجعلها حطباً للإيقاد، وهو لا يعلم أن المال فيها، فلما قطعها بالمنشار، وجد المال الذي له والصحيفة التي كتبها الرجل إليه بذلك.

ثم جاء الرجل الذي استلف فأتى بالألف دينار الأخرى، فقال للذي أسلفه: والله لقد اجتهدت في البحث عن مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال الذي أسلفه: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ فقال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جنئت فيه، قال الرجل الذي أسلفه: إن الله قد أدّى عنك الألف دينار التي بعثت بها في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار الأخرى التي أتيت بها راشداً.

### معاني الكلمات:

كفيل: ضامن.

الأجل: وقت يحدد لانتهاه الشيء أو حلوه.

التَّمَسُّ: طلب.

زَجَّجَ موضعها: أصلح موضع النقرة وسواه.

جهدت: تحملت المشقة.

أستودعكها: أتركها عندك وديعة، أي: أمانة.

ولجت: دخلت.

نشرها: قطعها بالمنشار.

من فوائد الحديث:

- جواز أن يقرض الرجلُ الرجلَ الفقير بغير كفيل ولا شاهد؛ اكتفاءً بشهادة الله ﷻ، وبتكلاً عليه، ولا يكون ذلك مفرطاً ولا مضيقاً.
- جواز أن يفترض الفقير المال الكثير توكلاً على أن الله عز وجل يُثَمِّره في يده، ويسهل له سداد دينه من ربحه.
- جواز الاستسلاف، وشغل الذمة بما يتخذه الرجل بضاعة يسعى فيها.
- من توكل على الله فإنه ينصره، فالذي نقر الخشبة وتوكل حفظ الله تعالى ماله، والذي أسلفه وقنع بالله كفيلاً أوصل الله تعالى ماله إليه.
- أن الله تعالى متكفل بعون من أراد أداء الأمانة، وأن الله يجازي أهل الإرفاق بالمال بحفظه عليهم مع أجر الآخرة، كما حفظه على المسلف.
- جواز دخول الأجال في القرض.

- جواز ركوب البحر بأموال الناس والتجارة.
- الكفيل والشهيد من الأسماء الحسنى.
- فيه إثبات كرامات الأولياء.

## الحديث الثالث والثلاثون:

### فضل خلق الحلم والأناة

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» [صحيح] (١).

#### الشرح:

قال النبي ﷺ لأشج من بني عبد قيس: إن فيك لخصلتين، أي: صفتين يحبهما الله ورسوله، وهما الحلم وعدم التسرع، والسبب أن الأشج تأتى حتى نظر في مصالحه ولم يعجل في القدوم مع قومه، (والحلم) وذلك في مخاطبته للنبي ﷺ، فكلامه كان دالاً على صحة عقله وجودة نظره.

#### معاني الكلمات:

الحلم: العقل.

الأناة: ترك العجلة.

(١) رواه مسلم (١ - ٤٨) برقم (١٧).

من فوائد الحديث:

- إثبات صفة الحب لله تعالى.
- الأخلاق منها ما هو جبلي ومنها ما هو مكتسب؛ لأنه قال في الحديث: أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ قال: «بل جبلك الله عليهما»<sup>(١)</sup>.
- الحزّ على التثبّت في الأمور والنظر في العواقب.
- الحلم والأناة من صفات العقلاء.

(١) رواه الطبراني في مكارم الاخلاق (١ - ٣٢٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٧ - ١٦٤).

## الحديث الرابع والثلاثون:

ثلاث قواعد عامة في التعامل مع الله  
ثم النفس ثم الناس

عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسنٍ» [حسن] (١).

### الشرح:

اتق الله بامتنال أو امره واجتناب نواهيه في أي مكان كنت، وبادر على فعل الحسنة بعد وقوعك في السيئة لتكفرها وتزيل أثرها السيئ في القلب وعقابها من الصحف، وعامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به.

### معاني الكلمات:

اتق الله: بامتنال أمره واجتناب نهييه، والوقوف عند حده. حيثما كنت: في أي مكان كنت فيه؛ حيث يراك الناس، وحيث لا يرونك، فإنه مطلع عليك. أتبع: ألحق، أي افعل بعدها.

(١) رواه الترمذي، (٤ - ٣٥٥) برقم (١٩٨٧). وأحمد، (٣٥ - ٢٨٤) برقم (٢١٣٥٤).

السيئة: وهي ترك بعض الواجبات، أو ارتكاب بعض المحظورات.  
الحسنة: العمل الصالح.

تمحها: تمح عقابها من صحف الملائكة وأثرها السيئ في القلب.  
وخالق الناس: عاملهم.

خلق حسن: وهو أن تفعل معهم ما تحب أن يفعلوه معك، فبذلك تجتمع القلوب،  
وتتفق الكلمة، وتتنظم الأحوال.

#### من فوائد الحديث:

- الأمر بتقوى الله، وهو وصية الله لجميع خلقه، ووصية الرسول ﷺ لأُمَّته.
- الإتيان بالحسنة عقب السيئة سبب لغفران السيئة.
- فضل الله عزّ وجلّ على العباد؛ وذلك لأننا لو رجعنا إلى العدل لكانت الحسنة لا تمحو السيئة إلا بالموازنة، وظاهر الحديث العموم، فالحسنة ولو كانت يسيرة تمحو السيئة التي هي أكبر منها.
- الترغيب في حسن الخلق، وهو من خصال التقوى التي لا تتم التقوى إلا به،  
وإنما أفرد بالذكر للحاجة إلى بيانه.

الأبْعُوذُ خَدِيثًا فِي مَكَامِلِ الْإِخْلَاقِ

الأبْعُوذُ خَدِيثًا فِي مَكَامِلِ الْإِخْلَاقِ

## الحديث الخامس والثلاثون:

تحريم الحسد والنجش والتدابير والتباغض  
والظلم وبيع المسلم على بيع أخيه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجِشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هُنَا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات-، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمٍ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» [صحيح] (١).

### الشرح:

في هذا الحديث يرشدنا النبي الكريم ﷺ إلى ما يجب علينا معشر المسلمين، بأن نكون متحابين متآلفين متعاملين فيما بيننا معاملة حسنة شرعية تهدينا إلى مكارم الأخلاق، وتبعدنا عن مساوئها، وتذهب عن قلوبنا البغضاء، وتجعل معاملة بعضنا لبعض معاملة سامية خالية من الحسد، والظلم، والغش، وغير ذلك مما يستجلب الأذى والتفرق؛ لأن أذية المسلم لأخيه حرام، سواء بمال أو بمعاملة أو بيد أو بلسان، (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه).

(١) رواه البخاري، برقم (٦٠٦٤) مختصراً. ومسلم، (٤ - ١٩٨٦) برقم (٢٥٦٤).

## معاني الكلمات:

لا تحاسدوا: لا يحسد بعضكم بعضاً، والحسد: تمنى زوال نعمة الله عزّ وجل عن الغير.

ولا تناجشوا: لا يزد بعضكم في ثمن سلعة لا يريد شراءها ليخدع بذلك غيره ممن يرغب فيها، وذلك في البيع في المزاد.

ولا تباغضوا: لا تتعاطوا أسباب التباغض.

ولا تدابروا: لا يعط أحد منكم أخاه دبره حين يلقاه مقاطعة له.

ولا يبيع بعضكم على بيع بعض: بأن يقول لمن اشترى سلعة في مدة الخيار: افسخ هذا البيع، وأنا أبيعك مثله بأرخص منه بثمنه، أو أجود منه بثمنه، أو يكون المتبايعان قد تقرر الثمن بينهما وتراضيا، ولم يبق إلا العقد، فيزيد عليه أو يعطيه بأنقص، وهذا بعد استقرار الثمن، أما قبل الرضا فليس بحرام. وكونوا عباد الله إخواناً: كالتعليل لما تقدم، أي تعاملوا معاملة الإخوة في المودة والرفق والشفقة والملاطفة، والتعاون في الخير، ونحو ذلك، مع صفاء القلوب. المسلم أخو المسلم: لأنه يجمعهما دين واحد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

لا يظلمه: لا يدخل عليه ضرراً في نفسه، أو دينه، أو عرضه، أو ماله بغير إذن شرعي.

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

ولا يخذله: لا يترك نصرته المشروعة، لأن من حقوق أخوة الإسلام: التناصر.

ولا يكذبه -بفتح ياء المضارعة، وتخفيف الذال المكسورة على الأشهر، ويجوز ضم أوله وإسكان ثانيه-: لا يخبره بأمر خلاف الواقع.

ولا يحقره: لا يستصغر شأنه ويضع من قدره، لأن الله لما خلقه لم يحقره بل أكرمه ورفعته وخاطبه وكلفه.

التقوى: اجتناب عذاب الله بفعل المأمور وترك المحظور.

بحسب امرئ من الشر: يكفيه من الشر.

عرضه: حسبته، وهو مفاخره ومفاخر آبائه، وقد يراد به النفس.

#### من فوائد الحديث:

- الأمر بأن نكون عباد الله يراد به العبودية الخاصة، وهي الطاعة والانقياد، وأما العبودية العامة فكل الخلق عبيد لله تعالى.

- النهي عن الأهواء المضلة، لأنها توجب التباغض.

- الأمر باكتساب ما يصير به المسلمون إخواناً على الإطلاق.

- تحريم الظلم.

- من حقوق المسلم على المسلم نصره إذا احتاج إليه، وتركه هو الخذلان المحرم.

- وجوب الصدق والتناصر والتواضع وتحريم الظلم بين المسلمين.
- التحذير من تحقير المسلم، فإن الله لم يحقره إذ خلقه.
- عمدة التقوى ما في القلب من عظمة الله، وخشيته ومراقبته، ولا اعتبار بمجرد الأعمال الصالحة بدون ذلك.
- الانحراف الظاهر في القول والعمل يدل على ضعف تقوى القلب.
- تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.
- وجوب الصدق فيما يخبر به أخاه، وأن لا يكذب عليه، بل ولا غيره أيضاً، لأن الكذب محرم حتى ولو كان على الكافرين.
- فضل المسلم على الكافر.
- تحريم الحسد، والتباغض، والتدابير، وبيع البعض على بيع البعض.
- تحريم المناجشة ولو من جانب واحد.
- تحريم شراء المسلم على شراء أخيه، وهو أن يقول لمن باع سلعة بتسعة مثلاً: أنا أعطيك فيها عشرة.
- النهي عن أذية المسلم بأي وجه من الوجوه من قول أو فعل.
- من تحقيق العبودية لله رعاية الأخوة الإيمانية.

الأبْعُوذُ خَدِيثًا فِي مَكَامِ الْأَخْلَاقِ

الأبْعُوذُ خَدِيثًا فِي مَكَامِ الْأَخْلَاقِ

الحديث السادس والثلاثون:

من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خبَاءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جسره، إذ نادى مُنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنةٌ يرققُ بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة؛ فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمره قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم، (٢-١٤٧٢) برقم (١٨٤٤) مطولاً.

### الشرح:

في هذا الحديث أنه يجب على الدعاة ما يجب على الأنبياء من بيان الخير والحث عليه، ودلالة الناس إليه، وبيان الشر والتحذير منه.

وفيه: أن صدر هذه الأمة حصل لها الخير والسلامة من الابتلاء، وأنه سيصيب آخر هذه الأمة من الشر والبلاء ما يجعل الفتن القادمة تهون الفتن السابقة، وأن النجاة منها يكون بالتوحيد والاعتصام بالسنة، وحسن معاملة الناس، والالتزام ببيعة الحاكم، وعدم الخروج عليه، وقتال من يريد تفريق جماعة المسلمين.

### معاني الكلمات:

منزلاً: موضعاً نستريح فيه.

خباءه: البيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة.

الصلاة جامعة: احضروا لتصلوا مجتمعين.

فقال: أي بعدما صلينا.

إنه لم يكن: أي لم يوجد.

حقاً عليه: أي واجباً.

أن ينذرهم: من الإنذار أي: يحذرهم.

أمتكم هذه: يعني الأمة المحمدية.

عافيتها: (العافية) أن تسلم من الأسقام والبلايا.

في أولها: عصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

آخرها: ما بعد القرون الثلاثة السابقة.

بلاء: محنة وابتلاء.

أمور تنكرونها: أي مستحدثة ومبتدعة ومخالفة للشرع.

وتجىء الفتنة: أي العظيمة في الدين.

مهلكتي: فيها هلاكي. ثم تنكشف: أي تذهب.

هذه هذه: أي هذه الفتنة هي أعظم الفتن.

يُرْخَزح: يُبْعَد ويُنْحَى.

فلتأته منيته: فليحرص أن يأتيه الموت وهو على الحال الموصوف.

وليات: أي ليجيء.

صَفْقَةً يده: عهده وميثاقه؛ لأن المتعاهدين يضع أحدهما يده في يد الآخر.

ثمرة قلبه: عقده وعزمه.

فإن جاء آخر ينازعه: أي خرج عن طاعته ونازعه في الملك.

فاضربوا عنق: فاقتلوا.

من فوائد الحديث:

- استحباب جمع الناس وإخبارهم بما يهمهم.
- من واجب الحكام والعلماء تنبيه الأمة وتحذيرها من الأخطار.
- معجزة النبي ﷺ بإخباره عن حدوث فتن متتالية يجرب بعضها بعضاً، وكل فتنة أظع من سابقتها.
- آخر هذه الأمة سينحرف عن منهج السلف الذي فيه العافية من الفتن، والعصمة من الضلال، والهداية من الغي.
- المؤمن يحافظ على دينه ويبقى على أصالته؛ فلا يخوض في الفتن، ولا يجرفه تيار الفساد والإفساد.
- الحث على التزام الإيمان، وسلوك سبل الهداية، والمعاملة الحسنة والخلق الطيب، وأن ذلك يقيه شر الفتن والوقوع في جهنم.
- يجب على الإنسان ألا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه.
- وجوب السمع والطاعة، والحذر من الخروج على ولاة الأمر.
- وجوب قتال الفئة الباغية التي تخرج على الإمام، وتشق عصا الطاعة، وتفرق جماعة المسلمين، وذلك للحفاظ على وحدة صف الجماعة المسلمة وعدم تفريق كلمتها.



## الحديث السابع والثلاثون:

فضل العدل والحث عليه

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «إن المُقسِطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

### الشرح:

في الحديث بشارة للذين يحكمون بالحق والعدل بين الناس الذين تحت إمرتهم وحكمهم، وأنهم على منابر من نور حقيقة؛ إكراماً لهم يوم القيامة عند الله ﷻ. وهذه المنابر عن يمين الرحمن تعالى، وفيه إثبات اليمين واليد له سبحانه؛ دون تعطيل أو تكيف أو تشبيه أو تحريف.

### معاني الكلمات:

المقسطين: العادلين.

عند الله: عند الله يوم القيامة.

(١) رواه مسلم، (٣-١٤٥٨) برقم (١٨٢٧). والنسائي، برقم (٥٣٧٩)، واللفظ له. ملحوظة: في صحيح مسلم زيادة على ما في رياض الصالحين: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين».

في حكمهم: في قضائهم.

ما ولّوا: الذي كانت لهم عليه ولاية.

من فوائد الحديث:

- فضل العدل والحث عليه.
- بيان منزلة العادلين يوم القيامة.
- تفاوت منازل أهل الإيمان يوم القيامة كل حسب عمله.
- أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ترغب المدعو في الطاعة.
- إثبات اليد واليمين لله تعالى؛ دون تعطيل أو تكييف أو تشبيه أو تحريف.

## الحديث الثامن والثلاثون:

استحباب إدخال السرور على المسلمين

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» [صحيح] (١).

الشرح:

الحديث دليل على استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، وأن هذا من المعروف الذي ينبغي للمسلم أن يحرص عليه ولا يحتقره، لما فيه من إيناس الأخ المسلم وإدخال السرور عليه.

معاني الكلمات:

لا تحقرن: (احتقار الشيء) الاستهانة بقدره. طلق: سهل منبسط مشرق.

من فوائد الحديث:

- طلب التوادد والتحاب بين المؤمنين، وطلاقة الوجه وابتسامته والبشر.
- كمال هذه الشريعة وشمولها، وأنها جاءت بكل ما فيه صلاح المسلمين وتوحيد كلمتهم.

(١) رواه مسلم (٤ - ٢٠٢٦) ، برقم (٢٦٢٦).

## الأبوعوز حديثاً في مكان الإخلاق

- الحرص على فعل المعروف خاصة ما كان متعلقاً بالآخرين، وألا يحتقر من المعروف شيئاً.

- استحباب إدخال السرور على المسلمين؛ لما في ذلك من تحقيق الألفة بينهم.



## الحديث التاسع والثلاثون:

فضيلة حسن الخلق

**الحديث الأول:** عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق. وإن الله يبغض الفاحش البذيء»<sup>(١)</sup> [صحيح].

**الحديث الثاني:** عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء» [صحيح]<sup>(٢)</sup>.

### الشرح:

**الحديث الأول:** في الحديث فضيلة حسن الخلق، وهو كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه، وأنه ليس هناك في الأعمال أعظم ثقلاً منه في ميزان العبد يوم القيامة. وأن الله تعالى يبغض من كان بهذا الوصف السيئ، وهو أن يكون فاحش القول بذيء الكلام.

(١) رواه أبو داود (٢٥٣ / ٤) والترمذي (٣٦٣ / ٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٩٩٧ / ٢) . .

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠ / ٤) والحاكم (٥٧ / ١) وابن حبان (٤٢-١) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٨١) .

**الحديث الثاني:** فيه أنه ليس من صفات المؤمن الكامل الإيمان أن يكون كثير القدر والعيب والوقوع في أعراض الناس، وليس من صفاته أن يكون كثير الشتم واللعن، فلا يكون طعناً يطعن في الناس بأنسابهم أو بأعراضهم أو بشكلهم وهيئاتهم أو بأمالهم؛ بل إن قوة إيمانه تحمله على التحلي بمكارم الأخلاق، والبعد عن سيئها.

### معاني الكلمات:

الفاحش: هو الذي يأتي السيئ من قول أو فعل.

البذيء: (البذاءة) قبح الكلام وبذاءة اللسان، والسفه والفحش وإن كان صادقاً.

الطعان: كثير السب والعيب للناس.

اللعان: كثير اللعن للناس.

ليس المؤمن: أي الكامل في الإيمان.

### من فوائد الحديث:

- إثبات الميزان الحقيقي يوم القيامة الذي توزن به أعمال العباد.

- أن الله تعالى يبغض الفاحش في قوله.

- النهي عن هذه الخصال القبيحة، وأنها ليست من صفات المؤمن الكامل

الإيمان.

## الأبْعُوذُ خَلْدِيثًا فِي مَكَامِ الْأَخْلَاقِ

- فضيلة حسن الخلق؛ لأنه يورث صاحبه محبة الله، ومحبة عباده، وهو أعظم ما يوزن يوم القيامة.

## الحديث الأربعون فضيلة حسن الخلق

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»<sup>(١)</sup>..

وفي رواية: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء»<sup>(٢)</sup>..

وفي رواية: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»<sup>(٣)</sup>.

### الشرح

بين النبي ﷺ في هذا الحديث فضل التحلي بالأخلاق الحسنة، فذكر أن حسن الخلق أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة.

ولقد كان التحلي بحسن الخلق من أخلاق الأنبياء والرسل، ومنهم نبينا محمد الذي وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٤- ٣٥٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠- ٣٦٨)، وقال الألباني: "صحيح" كما في صحيح الجامع، رقم (٥٧٢١).

(٢) رواه الترمذي، (٤- ٣٦٢) قال الألباني: "صحيح". انظر صحيح الجامع (٢- ٩٨٤).

(٣) رواه الترمذي، وقال الألباني: "صحيح" كما في صحيح الجامع، رقم (٥٧٢٦).

(٤) "سورة القلم، الآية ٤.

وهذه أمنا عائشة لما سئلت عن خلقه ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»<sup>(١)</sup> أي متخلقاً بأخلاق القرآن فعلاً لما يجب ويستحب فعله، وتاركاً لما يحرم ويكره فعله، فكان عاملاً بالأوامر متجنباً للزواجر..

لقد كان ﷺ ذا أخلاق حسنة، بل هو مصدرها وماهيتها، تحلى بحسن الخلق في قوله وفعله، بل هو صاحب الخلق والخلق الحسن، وإليك بعض الشواهد على حسن خلقه؛ فقد أخرج البخاري ومسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»<sup>(٢)</sup>.

وهذا أنس أحد الذين تشرفوا بخدمته ﷺ يقص علينا بعضاً من أخلاقه فيقول كما في صحيح مسلم: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا»، زاد الترمذي: «وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، وما مسست خزاً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (١/ ٥١٣) وأحمد (٤١/ ١٤٨).

(٢) تقدم تخريجه صفحة ٥٥.

(٣) رواه الترمذي (٤- ٣٦٨)، وقال الألباني صحيح "كما في مختصر الشمامل، رقم (٢٩٦).

وهكذا أصحابه في عصره ومن بعده ساروا على ما سار عليه معلمهم الأول ﷺ - في كل شأن من شؤونهم، في العقيدة في العبادات والمعاملات، في السلم والحرب، وفي كل شأن..

كما أن التحلي بحسن الخلق من صفات عباد الله المتقين، كما أخبر الله بذلك، فقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾<sup>(١)</sup>، فكل هذه الأعمال المذكورة في الآية من الأخلاق الحسنة كما سيأتي الإشارة إلى ذلك..

وقد ضمن النبي ﷺ ببيت في الجنة لمن حسن خلقه؛ فقال: «.. وبييت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»<sup>(٢)</sup> وما ذلك إلا لأن حسن الخلق من الإيمان، ومن أسباب دخول الجنان؛ فعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «تقوى الله، وحسن الخلق»<sup>(٣)</sup> وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، قال: «الأجوفان: الفم والفرج»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٣٣-١٣٤ .

(٢) تقدّم تحريجه صفحة ٩ .

(٣) تقدّم تحريجه صفحة ٣٠ .

(٤) رواه الترمذي، (٤- ٣٦٣) وابن ماجه (٢- ١٤١٨) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

قال ابن القيم رحمه الله : " جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته" (١).

كما أن التحلي بحسن الخلق يدل على وجود التقوى، ولذلك فقد أوصى النبي ﷺ بذلك؛ كما في وصيته لمعاذ رضي الله عنه ، وهي وصية لجميع أمته: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (٢). فجمع النبي ﷺ بين الحث على تقوى الله، وحسن الخلق.

قال ابن رجب رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: "هذه من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به -أي مخالقة الناس بالخلق الحسن-، وإنما أفردا بالذكر للحاجة إلى بيانه؛ فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده، فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس، فإنه (أي معاذ) كان قد بعثه إلى اليمن معلماً لهم ومقهما وقاضياً، ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره ممن لا حاجة للناس به ولا يخالطهم، وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع

(١) الفوائد (٥٤).

(٢) رواه الترمذي (٤ - ٣٥٥) لا وقال حديث حسن وأحمد (٣٥ - ٢٨٤) والدارمي (٣ - ١٧٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٩٧).

بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيزاً جداً لا يقوى عليه إلا الكُمَّلُ من الأنبياء والصدّيقين" (١) ..

كما أن التحلي بالخلق الحسن مما يقرب إلى النبي ﷺ في الجنة؛ فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» (٢).

وكان من دعائه ﷺ سؤال الله الهداية لأحسن الأخلاق؛ كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عن علي بن أبي طالب عن رسول الله أنه كان إذا قام من الليل، وفيه: «... واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» (٣) ..

وحسن الخلق منه ما هو جبلي ومنه ما هو مكتسب، ويكون حسن الخلق ببذل السلام، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، وسعة الصدر، وكظم الغيظ، والعفو عمن ظلمك، ووصل من قطعك، وغير ذلك من الخصال الحميدة، فعن الشعبي قال: "حسن الخلق: البذلة، والعطية، والبشر الحسن".

وعن ابن المبارك قال: "هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى".  
وسئل سلام بن أبي مطيع عن حسن الخلق فأشدد:

(١) يراجع: جامع العوم (١/٤٥٤).

(٢) تقدم تخريجه صفحة ٩.

(٣) رواه مسلم (١ - ٥٣٤).

تراه - إذا ما جئته - مهتلاً  
ولو لم يكن في كفه غير روحه  
هو البحر من أيّ النواحي أتيته  
فأجته المعروف؛ والجود ساحله<sup>(١)</sup>  
وقال بعض أهل العلم: "حسن الخلق كظم الغيظ لله، وإظهار الطلاقة والبشر،  
إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزالين إلا تأديباً أو إقامة حدٍّ، وكف الأذى عن  
كل مسلم أو معاهد، إلا تغيير منكر أو أخذاً بمظلمة لمظلوم من غير تعدٍّ"<sup>(٢)</sup>..  
وبالجملة فإن حسن الخلق يشمل امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وهو ما  
جاء بيانه في الكتاب والسنة.

فعلى المسلم الذي يرجو لقاء الله والدار الآخرة أن يتحلى بحسن الخلق؛ فإنه  
نعم الحلية لكل من أراد التحلي والتزين في الحياة الدنيا، وهو الموصل إلى  
أعالي الجنان.

### بعض فوائد الحديث:

١. الحث على التحلي بالأخلاق الحسنة.

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٥٧).

(٢) المصدر السابق (١/٤٥٨).

٢. أن الأعمال ستوزن، فهنئياً لمن ثقلت موازينه، وخيبة وحسرة لمن خفت موازين: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ نَارٌ حَامِيَةٌ ۖ ﴾<sup>(١)</sup>.

٣. إثبات الميزان يوم القيامة، وأنه ميزان حقيقي لوزن الأعمال الصالحة.

٤. وفيه أن الأعمال الصالحة تتحول إلى شيء محسوس يوزن، وهذا من قدرة الله التي لا يقف دونها شيء.

٥. أن صاحب الخلق الحسن يبلغ درجة الصائم القائم، وليس معنى هذا الصلاة المفروضة بل السنن كقيام الليل والنوافل.. وكذلك الصوم ليس المقصود به الفرض بل المستحبات والنوافل.. فأما قاطع الصلاة وتارك صوم رمضان فلا قيمة له ولا وزن عند الله ولو كان على خلق حسن.

وغير ذلك من الفوائد. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرفها عنا سيئها..

(١) سورة القارة ، الآية ٦-١١.

## وسائل علاج الحقد وتهذيب النفس

### ١ - الدعاء:

المسلم يدعو الله أن يجعل قلبه طاهراً نقياً من الحقد والغل قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ يدعو ويقول: «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً أو منيباً، تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسل سخيمة قلبي»<sup>(٢)</sup>. والسخيمة هي الحقد.

### ٢ - سلامة الصدر:

وسلامة الصدر تكون بعدم الحقد والغل والبغضاء، فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: إلى... والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة

(١) سورة الحشر، الآية ١٠ .

(٢) رواه أبو داود (٢- ٨٣) ، والترمذي (٥- ٥٥٤)، وابن ماجه (٢- ١٢٥٩) من حديث ابن عباس . قال: حسن صحيح. وصححه البغوي في "شرح السنة" (٥/ ١٧٦)، والألباني في "صحيح الجامع" (٣٤٨٥).

حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس مرفوعاً قال: «ثلاثٌ من لم يكن فيه فإن الله يغفر له ما سوى ذلك: من مات لا يُشرك بالله شيئاً، ولم يكن ساحراً يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه»<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - رابط الأخوة الإيمانية:

إن الأخوة الإيمانية والغل لا يجتمعان في قلب واحد، إن عاطفة المؤمن نحو إخوانه المؤمنين تتدفق بالمحبة، فكيف يجد الغل إلى هذه العاطفة الكريمة سييلاً؟! إنها أمران لا يجتمعان<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ

(١) رواه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١ / ١٦٤) (١٤١٢)، والبخاري (٦ / ١٩٢) من حديث الزبير بن العوام . وجود إسناده المنذري في "الترغيب والترهيب" (٤٣٨٢)، وصححه السيوطي في "الجامع الصغير" (٤١٧٠).

(٢) رواه البخاري في "الأدب المفرد" (٤١٣)، والطبراني في "الكبير" (١٢ / ٢٤٣)، والبيهقي في "الشعب" (٩ / ١٤) (٦١٩٠). قال الهيثمي في "المجمع" (١ / ١٠٧): فيه ليث بن أبي سليم. وضعفه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٢٨٣١).

(٣) "الأخلاق الإسلامية" لعبد الرحمن الميداني (١ / ٧٢٥).

يُجْبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - التواضع:

لا شك أن تواضع المسلم لأخيه المسلم يدفع بالأغلال والأحقاد، قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو حاتم: (التواضع يكسب السلامة ويورث الألفة ويرفع الحقد ويذهب الصد)<sup>(٣)</sup>.

٥ - ملء القلب بالمحبة وإرادة الخير للآخرين.

٦ - اعتذار المرء لأخيه.

(١) سورة الحشر، الآيات ٨-٩.

(٢) رواه مسلم (٤-٢١٩٨).

(٣) "روضة العقلاء" لابن حبان البستي (ص ٦١).

## الحديث الواحد والأربعون:

### حديث أم زرع

بعض جوانب العشرة الزوجية الحميدة التي يدل عليها حديث أم زرع وهي تدل على حسن اخلاق نبينا ﷺ حيث استمع وانصت لزوجته وهي تطوفه على إحدى عشرة بيتا

روى البخاري، ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جَاسَ أَحَدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدَنَ وَتَعَاقَدَنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَرْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ: لَا سَهْلٌ فَيْرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ... الحديث، وفيه: قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرَعٍ، وَمَا أَبُو زَرَعٍ، أَنَسَ مِنْ حُلِيِّ أُنْدِيِّ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي، وَبَجَحَنِي فَبَجَحَتِ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةَ بِشِقِّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ، وَدَائِسٍ وَمُنْقٍ، فَعَنْدُهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ، وَأَرْقُدُ فَأَنْصَبِحُ، وَأَشْرَبُ فَاتَّقِنُ، أُمُّ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرَعٍ، عَكُومُهَا رَدَاخٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ، ابْنُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ، مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ، وَيَشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ، طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ، لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبِيثًا، وَلَا تَنْفَثَ مِيرْتَنَا تَنْفِيثًا، وَلَا تَمَلَأُ بَيْنَنَا تَعْشِيشًا، قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرَعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ حَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ، فَطَلَقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِيًّا، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، وَقَالَ: كُلِّي أُمَّ زَرَعٍ وَمِيرِي أَهْلِكَ، قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ

شَيْءٍ أَعْطَانِيهَا، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرَعٍ». قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ لِكَأَبِي زَرَعٍ لِأَمِّ زَرَعٍ»<sup>(١)</sup>.

### شرح الحديث:

(أَنَسَ مِنْ حُلِيِّ أُنْدِيٍّ) أي أتاني بالحلي في أذني فهو يتدلى منها.

(وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضْدِيٍّ) مَعْنَاهُ أَسْمَنَنِي.

(وَبَجَّحَنِي فَبَجَحْتُ إِلَيَّ نَفْسِي) مَعْنَاهُ وَعَظَّمَنِي فَعَظَّمْتُ عِنْدَ نَفْسِي. يُقَالُ: فُلَانٌ يَتَبَجَّحُ بِكَذَا أَي يَتَعَظَّمُ وَيَفْتَخِرُ.

(وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غَنِيمَةَ بَشِيقٍ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ) أَرَادَتْ أَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَابَ غَنَمٍ لَا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَإِيلٍ، وَالْعَرَبُ لَا يَعْظُمُونَ أَصْحَابَ الْغَنَمِ، وَإِنَّمَا يَعْظُمُونَ أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْإِيلِ.

وَأَمَّا قَوْلُهَا: (بَشِيقٍ) يَحْتَمِلُ أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ مَرَادُهَا أَيُّ بَشِيقٍ مِنْ الْعَيْشِ وَجَهْدٍ.

وَقَوْلُهَا: (وَدَائِسٍ) هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الرَّزْعَ فِي بَيْدَرِهِ. يُقَالُ: دَاسَ الطَّعَامَ دَرَسَهُ.

قَوْلُهَا: (وَمُنَقٍّ) الْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يُنَقِّي الطَّعَامَ أَيُّ يُخْرِجُهُ مِنْ قَشُورِهِ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ صَاحِبُ زَرَعٍ، وَيَدُوسُهُ وَيُنَقِّيهِ.

قَوْلُهَا (فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ) مَعْنَاهُ لَا يُقْبَحُ قَوْلِي فَيَرُدُّ، بَلْ يَقْبَلُ مِنِّي.

(١) "رواه البخاري (٧-٢٧)، و مسلم (٤-١٨٩٦).

وَمَعْنَى (أَتَصَبَّحُ) أَنَامَ الصُّبْحَةَ، وَهِيَ بَعْدَ الصَّبَاحِ، أَي أَنَّهَا مَكْفِيَةٌ بِمَنْ يَخْدُمُهَا فَتَنَامُ.

قَوْلُهَا: (فَاتَقَنَ) مَعْنَاهُ أَرَوَى حَتَّى أَدَعَ الشَّرَابَ مِنَ الشِّدَّةِ الرَّيِّ.

قَوْلُهَا: (عُكُومُهَا رَدَاحٌ) الْعُكُومُ هِيَ الْأَوْعِيَةُ الَّتِي فِيهَا الطَّعَامُ وَالْأَمْتِعَةُ، وَرَدَاحٌ أَي عِظَامٌ كَبِيرَةٌ.

قَوْلُهَا: (وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ) أَي وَاسِعٌ.

قَوْلُهَا: (مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٌ) مُرَادُهَا أَنَّهُ خَفِيفُ اللَّحْمِ، وَهُوَ مِمَّا يُمْدَحُ بِهِ الرَّجُلُ.

قَوْلُهَا: (وَتَشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ) الْجَفْرَةُ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَغْزِ، وَهِيَ مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفُصِّلَتْ عَنْ أُمِّهَا. وَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَلِيلُ الْأَكْلِ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ.

قَوْلُهَا: (طُوعٌ أَبِيهَا وَطُوعٌ أُمِّهَا) أَي مُطِيعَةٌ لهُمَا مُنْقَادَةٌ لِأَمْرِهِمَا.

قَوْلُهَا: (وَمِلءٌ كِسَانِهَا) أَي مُمْتَلِئَةٌ الْجِسْمِ سَمِيئَةٌ.

قَوْلُهَا: (وَعَيْظٌ جَارَتِهَا) قَالُوا: الْمُرَادُ بِجَارَتِهَا ضَرَّتِهَا، يَغِيظُهَا مَا تَرَى مِنْ حَسَنَتِهَا وَجَمَالِهَا وَعَقْنَتِهَا وَأَدَبِهَا.

قَوْلُهَا: (لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبِيثًا) أَي لَا تُشْبِعُهُ وَتُظْهِرُهُ، بَلْ نَكْتُمُ سِرَّنَا وَحَدِيثَنَا كُلَّهُ.

قَوْلَهَا: **(وَلَا تُنَقِّتْ مِيرَتَنَا تَنْقِيًّا)** الْمِيرَةُ الطَّعَامُ الْمَجْلُوبُ، وَمَعْنَاهُ لَا تُفْسِدْهُ، وَلَا تُفَرِّقْهُ، وَلَا تَذْهَبِ بِهِ وَمَعْنَاهُ وَصْفُهَا بِالْأَمَانَةِ.

قَوْلَهَا: **(وَلَا تَمَلْأْ بَيْنَنَا تَعْشِيْشًا)** أَي لَا تَتْرُكْ الْكُنَاسَةَ وَالْقَمَامَةَ فِيهِ مُفَرِّقَةً كَعُشِّ الطَّائِرِ، بَلْ هِيَ مُصْلِحَةٌ لِلْبَيْتِ، مُعْتَنِيَةٌ بِتَنْظِيْفِهِ.

قَوْلَهَا: **(وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ)** هُوَ جَمْعُ وَطْبٍ وَهِيَ سَقِيَّةُ اللَّبَنِ الَّتِي يُمَخَضُ فِيهَا.

قَوْلَهَا: **(يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بَرْمَانَتَيْنِ)** الْمُرَادُ بِالرَّمَانَتَيْنِ هُنَا تَدْيَاهَا.

قَوْلَهَا: **(فَنَكَحَتْ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا)** (سَرِيًّا) مَعْنَاهُ سَيِّدًا شَرِيفًا، وَقِيلَ: سَخِيًّا، (شَرِيًّا) هُوَ الْفَرَسُ الْفَائِقُ الْخِيَارُ.

قَوْلَهَا: **(وَأَخَذَ خَطِيًّا)** هُوَ الرَّمَحُ.

قَوْلَهَا: **(وَأَرَاخَ عَلَيَّ نِعْمًا ثَرِيًّا)** أَي أَتَى بِهَا إِلَى مَوْضِعِ مَبِيَّتِهَا. وَالنَّعْمُ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ.

وَالثَّرِيُّ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ.

قَوْلَهَا: **(وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا)** فَقَوْلُهَا **(مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ)** أَي مِمَّا يَرُوحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْعَبِيدِ. وَقَوْلُهَا **(زَوْجًا)** أَي اِثْنَيْنِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا أَرَادَتْ صِنْفًا، وَالزَّوْجُ يَقَعُ عَلَى الصِّنْفِ.

قَوْلُهُ: **(مِيرِي أَهْلَكَ)** أَي أَعْطَيْتُهُمْ وَأَفْضَلِي عَلَيْهِمْ وَصَلِيْتُهُمْ.

قال الحافظ رحمه الله :

" زَادَ فِي رِوَايَةِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ: «فِي الْأُلْفَةِ وَالْوَفَاءِ لَا فِي الْفُرْقَةِ وَالْجَلَاءِ». وَزَادَ الزُّبَيْرُ - يَعْنِي ابْنَ بَكَارٍ - فِي آخِرِهِ: «إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكَ». وَزَادَ النَّسَائِيُّ فِي رِوَايَةٍ لَهُ وَالطَّبْرَانِيُّ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي زَرَعٍ»<sup>(١)</sup>.

وَكَأَنَّهُ ﷺ قَالَ ذَلِكَ تَطْيِيبًا لَهَا وَطُمَأْنِينَةً لِقَلْبِهَا وَدَفْعًا لِإِيْهَامِ عُمُومِ التَّشْبِيهِ بِجُمْلَةِ أَحْوَالِ أَبِي زَرَعٍ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَدْمُهُ النِّسَاءُ سِوَى ذَلِكَ، وَأَجَابَتْ هِيَ عَنْ ذَلِكَ جَوَابَ مِثْلِهَا فِي فَضْلِهَا وَعِلْمِهَا" انتهى<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً:

"التَّشْبِيهِ لَا يَسْتَلْزِمُ مُسَاوَاةَ الْمُسَبَّهِ بِالْمُشَبَّهِ بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ؛ لِقَوْلِهِ ٧: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ» وَالْمُرَادُ مَا بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ فِي رِوَايَةِ الْهَيْثَمِ «فِي الْأُلْفَةِ..» إِلَى آخِرِهِ؛ لَا فِي جَمِيعِ مَا وُصِفَ بِهِ أَبُو زَرَعٍ مِنَ الثَّرْوَةِ الزَّائِدَةِ وَالْإِبْنِ وَالْخَادِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا لَمْ يَذْكَرْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ كُلِّهَا" انتهى<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(١) "رواه النسائي في السنن الكبرى (٨ - ٢٤٩) .

(٢) "فتح الباري" (٢٧٥/٩).

(٣) "فتح الباري" (٢٧٧/٩).

"قوله: **(كنت لك)** مَعْنَاهُ أَنَا لَكَ، وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ)** أَي أَنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ" انتهى<sup>(١)</sup>.

فمقصوده ﷺ بقوله: **«كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ»** يعني في حسن العشرة، وكرم الصحبة، ودوام المحبة والألفة، وأكد ذلك بقوله ﷺ: **«إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكَ»**.

ثانياً:

سبب طلاق أبي زرع أم زرع، أن هذه المرأة التي لقيها فأعجبته وتزوجها على أم زرع، ألحت عليه في طلاق أم زرع - وكان يهواها ويحبها أكثر من محبته أم زرع - فطلقها.

قال الحافظ:

"قوله: **(فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا)** فِي رِوَايَةِ الْحَارِثِ: **(فَأَعْجَبْتُهُ فَطَلَّقَنِي)**، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ: **(فَخَطَبَهَا أَبُو زَرَعٍ، فَتَزَوَّجَهَا، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ أُمَّ زَرَعٍ)**، فَأَقَادَ السَّبَبَ فِي رَغْبَةِ أَبِي زَرَعٍ فِيهَا، ثُمَّ فِي تَطْلِيقِهِ أُمَّ زَرَعٍ" انتهى<sup>(٢)</sup>.

(١) "عمدة القاري" (١٧٨/٢٠).

(٢) "فتح الباري" (٢٧٤/٩).

ثالثاً:

تضمن هذا الحديث بعض الخصال الحسنة التي ينبغي أن يكون عليها الزوج تجاه زوجته، فمن ذلك:

- حسن العشرة بالتأنيس والمحادثة.

- المباشطة بالمداعبة والمزاح في غير تعد.

- إتحافها بالهدايا والألطف.

- إكرامها بحسن الإنفاق عليها وعدم البخل حتى إنها ذكرت أن زوجها الثاني كان كريماً معها ومع ذلك قالت: «لَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، مَا بَلَغَ أَصْعَرَ أَنْبِيَةِ أَبِي زَرْعٍ».

- عدم استهجانها أو الاستخفاف بعقلها إذا تكلمت أو فعلت شيئاً.

- إمساكها بمعروف وعدم تطليقها حيث كانت عفيفة دينية، كما في قول النبي ﷺ: «كُنْتُ لِكَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُ».

- رعاية أولادها وحسن تربيتهم وتأديبهم، فإن ذلك من تمام حسن عشرتها.

وفاء كلِّ من الزوجين للآخر من الأخلاق الإسلامية العظيمة التي تجسد ما في الحياة الزوجية من مودة ورحمة وسكن، وقد وجدنا في تراثنا العربي والإسلامي نماذج رائعة لهذا الوفاء، وخاصة من قبل المرأة.

- حسن اختيار الزوج للجارية التي تخدم في البيت، فتصلح ولا تفسد، وتزوج للخير وتسكت عن الشر، وذلك أيضاً من تمام حسن عشرته لزوجته.

وقد جاء أن أبا زرع ندم بعد ذلك على طلاقها.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَبَا زَرْعٍ نَدِمَ عَلَى طَلَاقِهَا، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا" انتهى<sup>(١)</sup>.



(١) "فتح الباري" (٩/٢٧٧).

## الحديث الثاني والأربعون:

من مكارم الأخلاق تعظيم سنة النبي

ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم [كثرة] سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» [صحيح] (١).

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

### الفائدة الأولى:

دلّ الحديث على أنه يتعين على المسلم الاعتناء بما جاء عن الله ورسوله ﷺ، وبذل وسعه في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما ينهى عنه، فتكون همّته مصروفة بالكلية إلى ذلك لا إلى غيره، وهكذا كان حال أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة، علمًا وعملاً.

(١) رواه البخاري، (٦ / ٢٦٥٨، ٦٨٥٨). ومسلم (٢ / ٩٧٥)، والزيادة بين [قوسين] من رواية مسلم.

فأما إن كانت الهمة مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع، فإن هذا مما يثبط عن الجد في متابعة الأمر واجتناب النهي، ومن امتثل ما في هذا الحديث حصلت له النجاة في الدنيا والآخرة، ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه النبي ﷺ من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم، وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسولهم عليهم الصلاة والسلام (١).

### الفائدة الثانية:

يجب على المسلم اجتناب كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ، وهذا هو الأصل في النهي ما لم يوجد ما يصرفه عن التحريم إلى غيره، وكان السلف رحمهم الله يحرصون على اجتناب جميع المناهي من غير تفصيل، سواء ما كان منها محرماً وما كان مكروهاً، ولم يقيد النبي ﷺ اجتناب المنهيات بالاستطاعة كما قيد فعل المأمورات؛ وذلك لأن الترك لا يحتاج إلى قدرة ولا نية؛ لأنه جارٍ على الأصل، وهو عدم الفعل، وقد جمع هذا الحديث معاني تقوى الله تعالى، قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رُزق بعد ذلك خيراً فهو خيرٌ إلى خير (٢).

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/٩١-٩٢، ٩٥)، (شرح الحديث التاسع).

(٢) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر (٤٥/٢٣٠). وتهذيب الكمال، للمزي (٢١/٤٤٥).

الفائدة الثالثة:

أخذ العلماء رحمهم الله من هذا الحديث وغيره قاعدة من قواعد الفقه، وهي: (الميسور لا يسقط بالمعسور)، ومعناها: أن المسلم إذا تمكن من فعل بعض ما أمر الله به؛ فإنه يفعله، ولا يتركه بسبب عجزه عن غيره، ويدخل في ذلك صور كثيرة، منها: من استطاع غسل بعض أعضائه في الوضوء وعجز عن بعضها؛ وجب عليه غسل ما أمكنه منها، ومن استطاع القيام في الصلاة وعجز عن الركوع؛ وجب عليه القيام، وأوماً بالركوع، ومن استطاع صيام بعض أيام رمضان وعجز عن بعضها؛ وجب عليه صيام ما يقدر عليه، ويفطر ما يعجز عنه، ويقضيه وقت الاستطاعة، وهكذا.

## حسن الخلق ستر

إنَّ الله جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلاً بيننا وبينه.

إن كان لابدّ من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الأخلاق ومحامد الأفعال.

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

من علامة حسن الخلق أن تكون في بيتك أحسن الناس أخلاقاً لا شيء في

العالم يفسد الأخلاق كالمال.

إنّ الفعل الأخلاقي هو الذي تحسّ بعده بالراحة، وغير الأخلاقيّ هو ما تحس

بعده بعدم الراحة.

كُن حكيماً له مبدأ؛ فيحترمك الناس من أجله، ولا تكن سفيهاً خالياً من أيّ

منطق، فلا يُقيم الخلق حديثك.

حسن الخلق يستر كثيراً من السيئات.

أعظم مكارم الأخلاق ومحاسنها.

مع أسماء الله ﷻ:

لله تسعة وتسعون اسماً من حفظها دخل الجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «لله تسعة وتسعون اسماً من حفظها دخل الجنة»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «من أحصاها»، والراجح أن معنى أحصاها أي حفظها بدليل الرواية المفسرة، وقد فسرها البخاري في صحيحه رقم (٧٣٩٢) بالحفظ، فقال بعد روايته الحديث: "أحصيناه: حفظناه"<sup>(٣)</sup>. وقيل: أي من عرف معانيها وآمن بها، ومعرفة معانيها هو من باب الكمال، أما الفضل المذكور في الحديث فيحصل بمجرد الحفظ، وهذا ما رجحه النووي، حيث قال: الأول هو المعتمد نقله عنه، قال الحافظ ابن حجر ثم قال: "ويحتمل أن يراد من تتبعتها من القرآن"<sup>(٤)</sup>.

وأسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الأسماء الحسنی التي من أحصاها دخل الجنة ليست شيئاً معيئاً؛ بل من

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٨٠ .

(٢) "رواه البخاري (٣-١٩٨) و مسلم (٤٠-٢٠٢) .

(٣) انظر صحيح البخاري، (٩-١١٨) برقم (٧٣٩٢) .

(٤) التلخيص الحبير لابن حجر (٤/٣٢١) .

أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة" (١)، وقال أيضاً: "الذي عليه جماهير المسلمين أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين" (٢).

وقال العلامة ابن عثيمين في كتابه القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی: "قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»، لا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: (إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً، من أحصاها دخل الجنة)، أو نحو ذلك. فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة. وعلى هذا فيكون قوله: (من أحصاها دخل الجنة): جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة. ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة. ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه تعيينها ضعيف" (٣).

والدليل على عدم حصر الأسماء الحسنی بعدد معين حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦ / ٣٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦ / ٣٨١).

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، (ص ١٤).

## الأعوز حديثاً في مكان الإخلاق

تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي، إلا  
أذهب الله عز وجل همّه، وأبدله مكان حزنه فرحاً»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه أحمد (٧ - ٣٤١) في مسنده وصححه، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص ١١٩.

## الحديث الثالث والأربعون:

الأخلاق مع أسماء الله الحسنی وصفاته العلیا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» [صحيح] (١).

### الشرح:

واستدلوا على عدم حصر أسماء الله تعالى الحسنی في هذا العدد بما رواه أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِيقَ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا» (٢).

(١) رواه البخاري (٣-١٩٨) ومسلم (٤٠-٢٠٢).

(٢) رواه أحمد (٧-٣٤١) وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص ١١٩ و في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

فقوله ﷺ: (أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ) دليل على أن من أسماء الله تعالى الحسنى ما استأثر به في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه، وهذا يدل على أنها أكثر من تسعة وتسعين.

قال شيخ الإسلام عن هذا الحديث: "فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً فَوْقَ تِسْعَةِ وَتِسْعِينَ" اهـ<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: "قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ أَسْمَاءً اسْتَأْثَرَ بِهَا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى «أَنَّ قَوْلَهُ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، أَنَّ فِي أَسْمَائِهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: إِنَّ لِي أَلْفَ دِرْهَمٍ أَعَدَدْتُهَا لِلصَّدَقَةِ وَإِنْ كَانَ مَالُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(٢)</sup>، فَأَمَرَ أَنْ يُدْعَىٰ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ مُطْلَقًا، وَلَمْ يَقُلْ: لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَىٰ إِلَّا تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا" اهـ<sup>(٣)</sup>.

ونقل النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم اتفاق العلماء على ذلك، فقال: "اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ حَصْرٌ لِأَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَلَيْسَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرُ هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُ

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٤/٦).

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨٢/٢٢).

الْحَدِيثُ: أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَالْمُرَادُ الْإِخْبَارَ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِأَحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارَ بِحَصْرِ الْأَسْمَاءِ " اهـ<sup>(١)</sup>.

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن ذلك فقال: "أسماء الله ليست محصورة بعدد معين، والدليل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك - إلى أن قال: - أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك». وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن أن يُعلم به، وما ليس معلوماً ليس محصوراً.

وأما قوله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فليس معناه أنه ليس له إلا هذه الأسماء، لكن معناه أن من أحصى من أسمائه هذه التسعة والتسعين فإنه يدخل الجنة، فقوله: (مَنْ أَحْصَاهَا) تكميل للجملة الأولى وليست استثنائية منفصلة، ونظير هذا قول العرب: عندي مائة فرس أعدتها للجهاد في سبيل الله. فليس معناه: أنه ليس عنده إلا هذه المائة؛ بل هذه المائة معدة لهذا الشيء" اهـ<sup>(٢)</sup>.

#### فائدة:

والإحصاء المذكور في الحديث يتضمّن ما يلي:

- (١) شرح النووي على مسلم (١٧ - ٥) .
- (٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/١٢٢).

١- حفظها.

٢- معرفة معناها.

٣- العمل بمقتضاها: فإذا علم أنه الأحد فلا يُشرك معه غيره، وإذا علم أنه الرزاق فلا يطلب الرزق من غيره، وإذا علم أنه الرحيم فإنه يفعل من الطاعات ما هو سبب لهذه الرحمة.. وهكذا.

٤- دعاؤه بها: كما قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(١)</sup> وذلك كأن يقول: يا رحمان ارحمني، يا غفور اغفر لي، يا تواب تُب عليّ، ونحو ذلك.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "وليس معنى إحصائها: أن تكتب في رقاع ثم تكرر حتى تحفظ، ولكن معنى ذلك:

**أولاً:** الإحاطة بها لفظاً.

**ثانياً:** فهمها معنى.

**ثالثاً:** التعبد لله بمقتضاها، ولذلك وجهان:

**الوجه الأول:** أن تدعو الله بها؛ لقوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(٢)</sup>، بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلبك، فعند سؤال المغفرة

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٠ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٠ .

تقول: يا غفور اغفر لي، وليس من المناسب أن تقول: يا شديد العقاب اغفر لي، بل هذا يشبه الاستهزاء، بل تقول: أجرني من عقابك.

**الوجه الثاني:** أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء، فمقتضى الرحيم الرحمة، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالباً لرحمة الله، هذا هو معنى إحصائها، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمناً لدخول الجنة" انتهى<sup>(١)</sup>.

### ما يجب الاعتقاد به في الأسماء والصفات:

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ: من جميع الأسماء، والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة، على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل.

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين رحمه الله (١ - ١٢٤).

## الحديث الرابع والأربعون:

تعظيم الله في السرّ والعلن

من أعظم مكارم الأخلاق وجميل الآداب.

أَبُو تَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا؛ فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ تَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» [صحيح] (١).

### معاني الكلمات:

هباء: (الهباء) في الأصل: الشيء المُنْبَتُّ الذي تراه في ضوء الشمس.

محارم الله: هي كل ما حرّمه الله تعالى من المعاصي الصغائر والكبائر.

(١) رواه ابن ماجه (٢- ١٤١٨)، برقم (٤٢٤٥). وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجه" وفي

صحيح الجامع (٢- ٨٩٨).

ب. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافِي إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ : يَا فَلَانُ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» [صحيح] (١).

ثانياً:

قد استشكل كثير من الناس الجمع بين هذين الحديثين، وتعددت أماكن سؤالهم عن ذلك الجمع، ونذكر ما تيسر من أوجه الجمع بينهما، سائلين الله تعالى التوفيق، فنقول:

إن الذي دعا إلى استشكل الحديثين هو ما حواه معناهما مما ظاهره التعارض، فإن الحديث الأول ليس فيه أن أصحاب المعاصي قد جاهروا بمعاصيهم، وبمقتضى الحديث الثاني فهم "معافون"، فكيف تحبط أعمالهم، ويتوعدون بالسخط والعذاب؟! ومن هنا جاء الإشكال في ظاهر الحديثين، فذهب العلماء في الجمع بينهما مذاهب شتى، ومن ذلك:

القول بتضعيف حديث ثوبان، وقد علّله بعضهم فضعف سنده بالراوي "عقبة بن علقمة المعافري"، وحكم على منته بالانكار.

(١) رواه البخاري، (٨ - ٢٠) برقم (٥٧٢١). ومسلم، (٤ - ٢٢٩١) برقم (٢٩٩٠).

**أ. ويرد على تضعيف سنده:**

بأن الراوي عقبة بن علقمة وثقة كثيرون، وممن وثقه: ابن معين، والنسائي. ومن حكم على رواياته بالرد فإنما هو إذا روى عنه ابنه "محمد"، أو روى هو عن "الأوزاعي"، وهذا قول الأئمة المحققين في حاله، وليست روايته في هذا الحديث عن الأوزاعي، ولا رواه عنه ابنه محمد، فالسند حسن على أقل أحواله.

**ب. ويرد على نكارة متنه:**

**أولاً:** بأن له نظائر معروفة، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾<sup>(١)</sup>، وهو وإن لم يكن فيه حبوط أعمال أولئك بلفظ الآية، إلا أنه يُعرف ذلك بمعناها.

قال ابن كثير **رحمه الله**: "هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس؛ لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها؛ لأنه مطلع على سرائرهم، وعالم بما في ضمائرهم، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾<sup>(٢)</sup> تهديد لهم، ووعيد"<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية ١٠٨.

(٢) سورة النساء، الآية ١٠٨.

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٠٧).

**ثانياً:** أن حديث ثوبان في المنافقين، وحديث أبي هريرة في المسلمين، فلا تعارض بينهما، لا سيما إذا حملنا النفاق هنا على النفاق العملي الذي لا ينافي أخوة الإيمان.

والواقع أن المتأمل في حال بعض من يقع في المنكرات هذه الأيام من أهل الخير والصلاح الظاهر، وباعتراف من يتوب منهم يجد عجباً، من ارتكاب ذنوب "الخلوات" بشكل يمكن إطلاق وصف "انتهاك" عليه، فمن هؤلاء من تكون خلواته في مشاهدة الفضائيات الفاسدة، والنظر في الإنترنت إلى مواقع الجنس الفاضح، واستعمال أسماء مستعارة للمحادثة والمراسلة مع الأجنيبات، ثم تجد هؤلاء لهم نصيب في الظاهر من الاستقامة؛ في اللباس، والصلاة، والصيام، ومن هنا كان هذا الحديث محذراً لهؤلاء أن يكون حالهم حال المنافقين، أو أن يكونوا أعداء لإبليس في الظاهر، أصدقاء له في السر، كما قال بعض السلف.

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: "الكبيرة السادسة والخمسون بعد الثلاثمائة: إظهار زي الصالحين في الملاء، وانتهاك المحارم ولو صغائر في الخلوة: أخرج ابن ماجه بسند رواه ثقات عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون ..». لأن من كان دأبه إظهار

الحسن، وإسرار القبيح: يعظم ضرره، وإغواؤه للمسلمين؛ لانحلال ربة التقوى والخوف من عنقه" (١).

قوله ﷺ: «إِذَا خَلُوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ» لا يقتضي خلوتهم في بيوتهم وحدهم، بل قد يكونون مع جماعتهم، ومن على شاكلتهم، فالحديث فيه بيان خلوتهم بالمحارم، لا خلوتهم مع أنفسهم في بيوتهم، فليس هؤلاء بمعافين، والمعافى الذي في حديث أبي هريرة الذي يظهر لنا أنه يفعل المعصية الغالبة عليه وحده، ولذا جاء في الحديث أنه شخص بعين، وأن ربّه قد ستره، «يَعْمَلُ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»، وحديث ثوبان فيه الجمع (قوم) و(خَلُوا).

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: "الذي يبدو أن «خلوا بمحارم الله» ليس معناها (سرًا)، وإنما: إذا سئمت لهم الفرصة انتهكوا المحارم، ف(خَلُوا) ليس معناها (سرًا)، وإنما من باب (خلا لك الجو فيبضي واصفري)" (٢).

وصف هؤلاء المذكورون في حديث ثوبان بأنهم (ينتهكون) محارم الله، وهو وصف يدل على استحلالهم لذلك، أو مبالغتهم فيها في هذه الحال، وأمنهم من مكر الله وعقوبته، وعدم مبالاتهم باطلاعه عليهم، فلذا استحقوا العقوبة بحبوط

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢ / ٧٦٤).

(٢) سلسلة الهدى والنور، شريط رقم (٢٢٦).

أعمالهم، وليس الوعيد على مجرد الفعل لتلك المعصية، ولعله لذلك سأل ثوبان رضي الله عنه النبي ﷺ أن يجلي حال أولئك، وأن يصفهم؛ خشية أن يكونوا منهم وهم لا يدرون، ومثل هذا إنما هو طلب لمعرفة حال قلوب أولئك العصاة، وليس لمعرفة أفعالهم مجردة.

قال الشيخ محمد المختار الشنقيطي حفظه الله: "أي: أن عندهم استهتاراً واستخفافاً بالله ﷻ، فهناك فرق بين المعصية التي تأتي مع الانكسار، والمعصية التي تأتي بغير انكسار، بين شخص يعصي الله في ستر، وبين شخص عنده جرأة على الله ﷻ، فصارت حسناته في العلانية أشبه بالرياء، وإن كانت أمثال الجبال، فإذا كان بين الصالحين: أَحْسَنَ أيّاً إحسانٍ؛ لأنه يرجو الناس ولا يرجو الله، فيأتي بحسنات كأمثال الجبال، فظاهرها حسنات، **«لكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»**، فهم في السر لا يرجون الله وقاراً، ولا يخافون من الله عز وجل، بخلاف من يفعل المعصية في السرّ وقلبه منكسر، ويكره هذه المعصية ويمقتها، ويرزقه الله الندم، فالشخص الذي يفعل المعصية في السرّ وعنده الندم والحرقة ويتألم؛ فهذا ليس ممن ينتهك محارم الله ﷻ؛ لأنه - في الأصل - معظّم لشعائر الله، لكن غلبته شهوته، فينكسر لها، أما الآخر: فيتسم بالوقاحة والجرأة على الله؛ لأن الشرع لا يتحدث عن شخص أو شخصين، ولا يتحدث عن نص محدد، إنما يعطي الأوصاف كاملة.

من الناس من إذا خلا بالمعصية خلا بها جريئاً على الله، ومنهم من يخلو بالمعصية وهو تحت قهر الشهوة، وسلطان الشهوة، ولو أنه أمعن النظر

وتريث ربما غلب إيمانه شهوته، وحال بينه وبين المعصية، لكن الشهوة أعمته، والشهوة قد تعمي وتصم، فلا يسمع نصيحة، ولا يرعوي، فيهجم على المعصية فيستزله الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ﴾<sup>(١)</sup> ، فإذا حصل الاستزلال من الشيطان، فزلت قدم العبد، لكن في قرارة قلبه الاعتراف بالمعصية، والله يعلم أنه لما وقع في المعصية أنه نادم، وأنه كاره لها، حتى إن بعضهم يفعل المعصية وهو في قرارة قلبه يتمنى أنه مات قبل أن يفعلها؛ فهذا معظّم لله ﷻ ، ولكنه لم يرزق من الإيمان ما يحول بينه وبين المعصية، وقد يكون سبب ابتلاء الله له أنه عيّر أحداً، أو أنه عق والدًا، أو قطع رحمه، فحجب الله عنه رحمته، أو آذى عالمًا، أو وقع في أذية ولي من أولياء الله، فأذنه الله بحرب، فأصبح حاله حال المخذول، مع أنه في قرارة قلبه لا يرضى بهذا الشيء ...

فالذي يعصي في السر على مراتب: منهم من يعصي مع وجود الاستخفاف، فبعض العُصاة تجده لما يأتي إلى معصية لا يراه فيها أحد؛ يذهب الزاجر عنه، ويمارسها بكل تهكم، وبكل وقاحة، وبكل سخرية، ويقول كلمات، ويفعل أفعالاً، ولربما نصحه الناصح، فيرد عليه بكلمات كلها وقاحة، وإذا به يستخف بعظمة الله β، ودينه، وشرعه، لكنه إذا خرج إلى الظاهر صلى، وصام، وإذا خلا بالمعصية لا يرجو لله وقارًا -والعياذ بالله-، فليس هذا مثل من يضعف

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٥ .

أمام شهوة، أو يفتن بفتنة يراها، ويحس أن فيها بلاء وشقاء، ويقدم عليها وقلبه يتمر من داخله، ويتألم من قرارة قلبه، ثم إذا أصاب المعصية ندم.

فهذا الحديث -أي: حديث ثوبان- ليس على إطلاقه، وإنما المراد به: من كانت عنده الجرأة -والعياذ بالله- والاستخفاف بحدود الله<sup>(١)</sup>.

وإذا خَلَوَتْ بِرَبِيبَةٍ فِي ظَلَمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ  
فَاسْتَحْيِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَلِّ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظُّلَامَ يَرَانِي  
نسأل الله أن يحبب إلينا الإيمان، وأن يزينه في قلوبنا، ونسأله أن يبغض إلينا الكفر، والفسوق، والعصيان.

والله أعلم.

هي الأخلاق تنبت كالنبات إذا سُقِيَتْ بماء المَكْرُمَاتِ  
تقوم إذا تعهد لها المُرَبِّي على ساق الفضيلة مثمرات  
وتسمو للمكارم بآساق كما اتسقت أنابيب القناة

## النزاهة من أخلاق الكبار

قال المناوي: (النَّزَاهَةُ: اكتساب المال من غير مَهَانَةٍ، ولا ظُلْمٍ، وإنفاقه في المصارف الحميدة)<sup>(١)</sup>.

وقال -أيضاً-: (النَّزَاهَةُ البُعْدُ عن السُّوء).

وقال أبو طالب المكي: (ومعنى التَّنَزُّهُ: التَّبَاعُدُ مِنَ الدَّنَاءَةِ والأَوْسَاحِ)<sup>(٢)</sup>.

- عن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، كَرَّاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَّحَتْ، صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن رجب: (من اتقى الأمور المشبهة عليه، التي لا تتبين له: أحلال هي أو حرام؟ فإنه مستبصر لدينه، بمعنى: أنه طالب له البراء والنزاهة مما يدنسها ويؤشبهها)<sup>(٤)</sup>.

(١) "انظر التوقيف على مهمات التعاريف (١- ٣٢٣) .

(٢) "قوت القلوب"، لأبي طالب المكي (٢/ ٤٧٦).

(٣) رواه البخاري (١- ٢٠) برقم (٥٢)، ومسلم (٣- ١٢٢١) برقم (١٥٩٩).

(٤) "فتح الباري" (١/ ٢٢٩-٢٣٠).

- وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما «أن صفة زوج النبي ﷺ - أخبرته: أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد - عند باب أم سلمة - مرَّ رجلان من الأنصار، فسَلَّمَا على رسول الله ﷺ ، فقال لهما النبي ﷺ : على رسلكما، إنما هي صفة بنت حُيَي. فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وكُبر عليهما. فقال النبي ﷺ: إنَّ الشَّيْطَانَ يبلِّغ من الإنسان مبلغ الدَّم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً»<sup>(١)</sup>.

قال الماوردي: (هذا رسول الله ﷺ وهو أبعد خلق الله من الرِّيب وأصونهم من النُّهم... فكيف من تخالجت فيه الشُّكوك، وتقابلت فيه الظُّنون؟ فهل يعرى من في مواقف الرِّيب من قاذح محقق، ولائم مُصدِّق؟)<sup>(٢)</sup>.

- عن أبي الحوراء السَّعديّ قال: قلت للحسن بن عليّ: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دَع ما يُرِيْبِك إلى ما لا يُرِيْبِك...»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣ - ٤٩) برقم (٢٠٣٥)، ومسلم (٤ - ١٧١٢) برقم (٢١٧٥).

(٢) "أدب الدُّنيا والدِّين" (ص ٣٢٧).

(٣) رواه الترمذي (٤ - ٦٦٨) برقم (٢٥١٨)، والنسائي (٨/٣٢٧)، وأحمد (١/٢٠٠) (١٧٢٣)، والطبراني (٣/٧٥) (٢٧٠٩)، والحاكم (٢/١٥)، والبيهقي (٥/٣٣٥) (١١١٣٤). قال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه النَّووي في "المجموع" (١/١٨١)، وصحَّحه ابن الملقن في "شرح البخاري" (٤٢/١٤)، والألباني في "صحيح سنن النسائي".

فالنزاهة أن نصوص النفس عن مواقف الرّيبة، وتنتزّه عن مساوئ الأخلاق،  
ونترفع عمّا يُذمُّ منها.

- عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ فأعطاني،  
ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم، إن هذا المال خِصْرَةٌ  
حُلُوَّةٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس، بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس، لم  
يُبارك له فيه، كالأذي يأكل ولا يشبع، اليد الغلّيا خير من اليد السُّفلى»<sup>(١)</sup>.

قال النّووي: (قال العلماء: إشراف النفس، تطلّعها إليه، وتعرّضها له، وطمعها  
فيه. وأمّا طيب النفس، فذكر القاضي فيه احتمالين، أظهرهما: أنّه عائد على  
الأخذ، ومعناه: من أخذه بغير سؤال، ولا إشراف وتطلّع، بورك له فيه.  
والثاني: أنّه عائد إلى الدّافع، ومعناه: من أخذه ممّن يدفع منشراً بدفعه إليه،  
طيب النفس، لا بسؤالٍ اضطرّه إليه، أو نحوه ممّا لا تطيب معه نفس  
الدّافع)<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الحديث: الحثُّ على النّزاهة والقناعة، والرّضا بما تيسر، وإن كان  
قليلاً، والإجمال في الكسب، وأنّه لا يعنّز الإنسان بكثرة ما يحصل له بإشرافٍ  
ونحوه؛ فإنّه لا يُبارك له فيه.

(١) رواه البخاري (١٢٣ - ٢) برقم (١٤٧٢)، ومسلم (٢ - ٧١٧) برقم (١٠٣٥).

(٢) "شرح النّووي على صحيح مسلم" (٤٨٦/٣).

## فوائد النزاهة

- ١- النَّزَاهَةُ طَاعَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
- ٢- النَّزَاهَةُ تَحْفَظُ النَّفْسَ عَنِ الْإِنْزِلَاقِ وَالْإِنْحِرَافِ.
- ٣- النَّزَاهَةُ خُلُقٌ يَثْمُرُ أَخْلَاقًا أُخْرَى، كَالْقَنَاعَةِ وَالْوَرَعِ.
- ٤- النَّزَاهَةُ مِنْ ثَمَارِهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ، وَمِنْ ثَمَّ مَحَبَّةُ النَّاسِ لَهُ.
- ٥- الْمَتْحَلِيَّةُ بِالنَّزَاهَةِ، يَتَحَلَّى بِخُلُقٍ تَحَلَّى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.
- ٦- النَّزَاهَةُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ التَّقْوَى.

## الوسائل المعينة على اكتساب النَّزَاهَةِ

### ١- الدُّعَاءُ:

كان من دعائه ﷺ الهداية إلى أحسن الأخلاق، فكان يقول: «واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»<sup>(١)</sup>.

### ٢- القناعة والبُعد عن الطَّمَعِ:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (١- ٥٤٢) برقم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب .  
 (٢) رواه مسلم (٢- ٧٣٠) برقم (١٠٥٤).

وقال ابن حجر: (وفيه إشارة إلى فضل القناعة، وذم الشَّرِه) (١).

### ٣- النجدة والجود والعدل:

قال ابن حزم: (نَزَاهَةُ النَّفْسِ، وهذه صفة فاضلة مُتْرَكِبَةٌ مِنَ النَّجْدَةِ وَالْجُودِ وَالْعَدْلِ وَالْفَهْمِ؛ لِأَنَّهُ فَمِمْ قَلَّةُ الْفَائِدَةِ فِي اسْتِعْمَالِ ضِدِّهَا، فَاسْتَعْمَلَهَا، وَكَانَتْ فِيهِ نَجْدَةٌ أُنتَجَتْ لَهُ عَزَّةٌ نَفْسِهِ، فَتَنَزَّرَهُ، وَكَانَتْ فِيهِ طَبِيعَةٌ سَخَاوَةٌ نَفْسِ، فَلَمْ يَهْتَمَّ لِمَا فَاتَهُ، وَكَانَتْ فِيهِ طَبِيعَةٌ عَدْلٍ، حَبَّبَتْ إِلَيْهِ الْقُنُوعَ وَقَلَّةَ الطَّمَعِ. فَإِذَا نَزَاهَةُ النَّفْسِ مُتْرَكِبَةٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ) (٢).

### ٤- الزُّهْدُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

### ٥- عَدَمُ مَصَاحِبَةِ أَهْلِ الطَّمَعِ وَالشَّرِّهِ.

نماذج للنزاهة من حياة النبي ﷺ :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً، فَأَلْقِيهَا» (٣).

(١) "فتح الباري" (٢٧/٥).

(٢) "رسائل ابن حزم" (٣٧١/١).

(٣) رواه البخاري (١٢٥ - ٣) برقم (٢٤٣٢)، ومسلم (٧١٥ - ٢) برقم (١٠٧٠).

نماذج للنزاهة من حياة السلف:

**أبو بكر الصديق رضي الله عنه :**

عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: (لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة، انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطبح فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها، فإننا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين، فإذا مت فارديه إلى عمر، فلما مات أبو بكر رضي الله عنه، أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه : رضي الله عنك يا أبا بكر، لقد أتعبت من جاء بعدك)<sup>(١)</sup>.

**عمر بن الخطاب رضي الله عنه :**

- عن عمر رضي الله عنه قال: (إنه لا أجده يحلُّ لي أن آكل من مالكم هذا، إلا كما كنت آكل من صلب مالي: الخبز والزيت، والخبز والسمن، قال: فكان ربما يُؤتى بالجفنة قد صنعت بالزيت، ومما يليه منها سمن، فيعتمر إلى القوم، ويقول: إنِّي رجل عربي، ولست أستمري الزيت)<sup>(٢)</sup>.

- وعن زيد بن أسلم: (أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرب لبنًا فأعجبه، فقال للذي سقاه: من أين لك هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماء قد سمّاه، فإذا

(١) رواه الطبراني (٦٠/١) (٣٨). قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٣٤/٥): رجاله ثقات.

(٢) "الورع" لابن أبي الدنيا (١٩٠).

نَعَمْ من نَعَم الصَّدَقة، وهم يسقون، فحلبوه لي من ألبانها، فجعلته في سقائي، وهو هذا، فأدخل عمر يده فاستقاءه<sup>(١)</sup>.

### سالم بن عبد الله بن عمر:

- دخل هشام بن عبد الملك إلى الكعبة، فإذا هو بسالم، فقال له: سألني حاجتك. فقال: إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، فلمَّا خرجا منها، قال: الآن قد خرجت منها فاسأل، فقال: والله ما سألت الدنيا ممن يملكها، فكيف أسأل فيها من لا يملكها<sup>(٢)</sup>؟

### عمر بن عبد العزيز:

- كان عمر بن عبد العزيز قد طلق نفسه عن الفيء، فلم يُرزق منه شيئاً إلا عطاءه مع المسلمين، فدخل عليه ابن أبي زكريا، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أكلّمك بشيء، قال: قل. قال: قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاث مائة دينار. قال: نعم. قال: ولم ذلك؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة. قال: فأنت، يا أمير المؤمنين، أولى بذلك. قال: فأخرج ذراعاه، وقال: يا ابن أبي زكريا، إن هذا نَبَت من الفيء، ولست معيداً إليه منه شيئاً أبداً<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مالك في "الموطأ" - رواية أبي مصعب الزهري" (٧٠٤)، والشافعي في "الأم" (٢٠٩/٣)، والبيهقي (١٣٥٤٢). صححه ابن الملقن في "البدر المنير" (٣٩٦/٧)، وضعفه الألباني في "تخريج مشكاة المصابيح" (١٧٧٥).

(٢) "الوافي بالوفيات" للصفدي (٥٤/١٥).

(٣) "سيرة عمر بن عبد العزيز" لابن عبد الحكم (٥٤/١٥).

- وقال عمرو بن مهاجر: (اشتهى عمر بن عبد العزيز تَفَاحًا، فأهدى له رجل من أهل بيته- تَفَاحًا، فقال: ما أطيب ريحه وأحسنه! ارفعه يا غلام للذي أتى به، وأقربى فلانًا السَّلَام، وقل له: إِنَّ هَدِيَّتَكَ وَقَعْتَ عِنْدَنَا بِحَيْثُ نُحِبُّ. فقلت: يا أمير المؤمنين، ابن عمك، ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يأكل الهدية. فقال: ويحك! إِنَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَدِيَّةً، وهذه لنا رشوة)<sup>(١)</sup>.

### طلحة بن عبد الله بن طاهر:

- كان طلحة بن عبد الله بن طاهر، يُنَادِمُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَالِدِ الْأَحْوَلِ، فَأَطَالَ مُنَادِمَتَهُ، وَبَلَّغَهُ أَنَّ عَلَيْهِ عَيْلَةً وَدِينًا، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَحَلَفَ الطَّاهِرِيُّ أَلَّا يَقْبَلَهَا، فَبَلَغَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ، فَقَالَ: اللَّهُ دَرُّ أَحْمَدِ مَتَبَرِّعًا، وَدَرُّ الطَّاهِرِيِّ مَتَنَزَّرًا<sup>(٢)</sup>.

(١) "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٤٠/٥).

(٢) "البصائر والذخائر" لأبي حيان التوحيدي (١٠٠/٦).

## الحديث الخامس والأربعون:

### توجيه الغريزة الجنسية بالوسائل الشرعية الآمنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء» [صحيح]<sup>(١)</sup>.

#### الشرح:

بما أن التحصن والتعفف واجب، وضدهما محرم، وهو آتٍ من قبل شدة الشهوة مع ضعف الإيمان، والشباب أشد شهوة، خاطبهم النبي ﷺ مرشداً لهم إلى طريق العفاف، وذلك أن من يجد منهم مؤنة النكاح من المهر والنفقة والسكن، فليتزوج لأن الزواج يغض البصر عن النظر المحرم ويحصن الفرج عن الفواحش، وأغرى من لم يستطع منهم مؤنة النكاح وهو تائق إليه بالصوم، ففيه الأجر، وقمع شهوة الجماع وإضعافها بترك الطعام والشراب، فتضعف النفس وتتسد مجارى الدم التي ينفذ معها الشيطان، فالصوم يكسر الشهوة كالوجاء للبيضتين اللتين تصلحان المنى فتهدج الشهوة.

(١) أخرجه البخاري (٧-٣) برقم (٥٠٦٥) ومسلم (٢-١٠١٨) برقم (١٤٠٠).

## معاني ألفاظ الحديث:

يا معشر: المعشر: هم الطائفة الذين يشلمهم وصف.

الشباب: جمع شاب، وهو اسم لمن بلغ حتى يكمل ثلاثين ثم هو كهل إلى أن يجاوز الأربعين ثم شيخ. وخص الشباب بهذا الخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيخ وإن كان المعنى معتبراً إذا وجد السبب في الكهول والشيوخ أيضاً.

من استطاع: من أطاق منكم. الباءة: المراد بالباءة هنا القدرة على مؤن النكاح، وهو في اللغة الجماع، أي من استطاع منكم مؤنة النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته.

أغض للبصر: أشد حفظاً للبصر من النظر في الحرام وأحصن للفرج: أشد منعاً له من الوقوع في الفاحشة .

ومن لم يستطع: من لم يقدر على مؤن النكاح أو نفس النكاح مع توقان إليه فعليه بالصوم: بمعنى: ليلزم الصوم. فإنه: الصوم.

الوجاء: وجاء هو رض عروق الخصيتين، فتذهب بذهابهما شهوة الجماع، وكذلك الصوم، فهو مُضعِف لشهوة الجماع، ومن هنا تكون بينهما المشابهة.

## كيف نعالج الشهوة؟

الشهوة لا حل لها إلا بالصبر أو إشباعها بالحلال:

لكن ما الحل في حالة عدم توافر الحلال؟!!

إذا استسلم العبد لإشباعها في الحرام لن يكتفي أبداً، وسيشعر دوماً بالقلق وتأنيب الضمير، والشعور بالذنب، مما يجعله كئيباً حزيناً..

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

" وليعلم اللبيب أن مدمني الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذون بها وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها"<sup>(١)</sup>.

هذا شعور نفسي يمر به مثلاً كل من مارس العادة السيئة، ولو كان من غير المسلمين.. ما العمل إذن؟!!

الحل في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

لم يقل: لا تزنوا.. بل لا تقربوه.. وهذا إعجاز.. لا تقربوا كل ما يؤدي إلى الزنا.. الفيديوهات.. القنوات.. الصور.. الأماكن.. الخ

نحن نعيش اليوم في عالم يموج بالإباحية وتجارة الإباحية تتجاوز عشرات المليارات من الدولارات وتغزو أجهزتنا، وهواتفنا الذكية والغبية!

حتى أفسدت وحوّلت كثير من الناس إلى حيوانات تركض خلف شهواتها.

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (١/٤٧٠).

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٢.

وانكسرت روح المؤمن وانجرحت الفطرة السوية. وهذا داء تساوى فيه النساء والرجال.. إنها حرب من أخطر الحروب؛ لأنها تتسلل إلى مخادعنا وأطفالنا دون أن نشعر، وتحطم نفوسنا إن لم ننتبه لها. ولا نستطيع الهرب؛ لأنها صارت في كل مكان.

### هل الحل في الزواج؟!

للأسف ... لا ليس كلياً.

هناك من المتزوجين من يعانون نفس المشكلة! وكم من الزيجات دُمّرت بسبب هذا الداء! لا مهرّب منها إلا بالتحصن بحصن التقوى والخوف من الله، ولا بد من قرار حازم بالإقلاع. خذ وخذي قراراً حاسماً بالتوقف.

قرّر أنك لن تفتح جهازك إلا بين أهلك وفي صالة البيت لا في غرفتك الخالية..  
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَفِظُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> لا تعني هذه الآية مجرد عدم الوقوع في الزنا، بل وكل ما يؤدي إلى الزنا.

إنها حرب، لا استسلام فيها حتى لو انهزمت في جولة أو جولات.

لا تختلِ بنفسك؛ لأن الشيطان يلازمك في خلوتك.. ويبتعد عنك فقط حين تكون وسط الجماعة.

(١) سورة المؤمنون: ، الآية ٥ .

لا (إباحية) ولا (عادة سرية) ولا (علاقات غير شرعية) خارج الإطار الذي شرعه الله تعالى، تستطيع أن تُلبي تلك الحاجات الفطرية الموجودة فيك. وإن أغلى ما يملك الإنسان قلبه.. وهذه المشاهد تدمر القلب.

### من فوائد الحديث:

حث الشباب القادر على مؤنة النكاح وهي المهر والنفقة، وعلى النكاح لأنه مظنة القوة وشدة الشهوة.

قال شيخ الإسلام: واستطاعة النكاح هو القدرة على المؤنة وليس هو القدرة على الوطء، فإن الخطاب إنما جاء للقادر على الوطء، ولذا أمر من لم يستطع بالصوم، فإنه له وجاء<sup>(١)</sup>.

من المعنى الذي خوطب لأجله الشباب، يكون الأمر بالنكاح لكل مستطيع لمؤنته وقد غلبته الشهوة، من الكهول والشيوخ.

التعليل في ذلك أنه أغض للبصر وأحصن للفرج عن المحرمات.

حث من لم يستطع مؤنة النكاح بالصوم، لأنه يضعف الشهوة، لأن الشهوة تكون من الأكل، فتركه يضعفها.

من لا مال له لا يستحب له أن يقترض ويتزوج وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَّعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣- ١٣٣).

(٢) سورة النور، الآية ٣٣.

وفي الحديث إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلى الصوم، لأن شهوة الجماع تابعة لشهوة الأكل، تقوى بقوة الأكل وتضعف بضعفه.

### عدم التكليف بغير المستطاع

المقصود من النكاح هو الوطاء، وهو الجماع للإعفاف، ولذلك شرع الخيار في حالة ما إذا عجز الزوج عن جماع أهله بسبب مرض مزمنٍ أو لا يحصل منه وصول إلى امرأته.

## الحدي السادس والأربعون:

بعثني ربي معلماً ميسراً لا متعنتاً

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِيَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لِأَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ، فَفُتِّتُ إِلَيْهَا، فَوَجَّأْتُ عُقْفَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنِي النَّفَقَةَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُقْفَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُقْفَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلُنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا، أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ} حَتَّى بَلَغَ {لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} (١)، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

(١) سورة الأحزاب، الآيات ٢٨-٢٩.

فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ- أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟! بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ، وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتَ، قَالَ:  
لَا تَسْأَلْنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنَّتًا، وَلَا مُتَعَنَّتًا، وَلَكِنْ  
بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبَسِّرًا<sup>(١)</sup>.

معاني ألفاظ الحديث

- (معننا): أي أشدد عليه، وألزمه ما يصعب عليه أدأوه.

- (متعننا): أدخل عليه الأذى، وأطلب زلته ومشقته.

- المعنى: لم يبعثني الله مشدداً على الغير، ملزماً له ما يصعب عليه، أو طالبا  
زلته

الشرح

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِيمَ النَّفْسِ مَعَ زَوْجَاتِهِ، وَقَدْ كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِنَّ  
مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِي مَصَالِحِ النَّاسِ، حَتَّى إِنَّهُ  
كَانَ لَا يُبْقِي إِلَّا الْقَلِيلَ لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، مِمَّا تَرْتَبَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا يَقَعُ عَلَى  
الرِّجَالِ مِنَ التَّضَرُّرِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَيْرُهُنَّ بَيْنَ الصَّبْرِ عَلَى الْعَيْشِ وَبَيْنَ  
الطَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ بِالْمَعْرُوفِ

(١) رواه مسلم (٢ - ١١٠٤) برقم (١٤٧٨).

فبدأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّخْيِيرِ بِعائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ فَنَادَاهَا وَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِضَ عَلَيْهَا أَمْرًا، وَأَنَّهُ يُحِبُّ أَلَّا تَتَعَجَّلَ فِي جَوَابِهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهَا، حَتَّى تَأْخُذَ رَأْيَ أَبِيهَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَيْهَا مِنْ صِغَرِ سِنِّهَا الْمُقْتَضِي إِرَادَةَ زِينَةِ الدُّنْيَا أَلَّا تَخْتَارَ الآخِرَةَ، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ، فَتَلَا عَلَيْهَا الآيَةَ، فَاسْرَعَتْ فِي قَبُولِهَا أَنْ تَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ، وَقَالَتْ: «أَفِيكَ»، أَي: فِي فِرَاقِكَ، أَوْ فِي وَصَالِكَ، أَوْ فِي حَقِّكَ «يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَشِيرُ أَبِيَّ؟!» وَأَخْبَرْتَهُ أَنَّهَا تَخْتَارُ اللهُ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَطَلَبَتْ

وَطَلَبَتْ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ بِالَّذِي أَجَابَتْ بِهِ؛ وَذَلِكَ غَيْرَةٌ مِنْهَا، وَجِرْصًا عَلَى التَّفَرُّدِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسْأَلْنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا»؛ لِأَعْيُنِهَا بِهِ عَلَى الإِخْتِيَارِ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهُ لَمْ يَبْعَثْهُ مُعْتَبًا، أَي: مُوقِعًا أَحَدًا فِي أَمْرِ شَدِيدٍ، وَالْعَنْتُ: المَشَقَّةُ وَالإِثْمُ أَيْضًا، «وَلَا مُتَعَتِّبًا»، أَي: طَالِبًا لِرُزْلَةِ أَحَدٍ، «وَلَكِنْ بَعَثْتَنِي مُعَلِّمًا» لِلنَّاسِ الخَيْرِ، وَمُسَهِّلًا لِلأَمْرِ، وَوَجْهَ التَّيْسِيرِ فِي

هَذَا: أَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ أَقْتَدَى بِعائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا غَيْرُهَا مِنْ أَزْوَاجِهِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهَا إِخْتِيَارَ اللهِ تَعَالَى، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالدَّارَ الآخِرَةَ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ مِنْ هَدْيِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِسْتِئْذَانِ.

وفيه: تَأْدِيبُ الرَّجُلِ وَلَدَهُ وَإِنْ كَبِرَ.

وفيه: زُهُدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقَلُّهُ مِنَ الدُّنْيَا.

## الأبغوز حديثاً في كتاب الأخلاق

وفيه: أَنَّ مِنْ فِعْلِ الصَّحَابَةِ تَطْيِيبَ نَفْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ حُزْنِهِ.

وفيه: فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

## أقسام الأخلاق

يمكن أن تُقسّم الأخلاق باعتبار مصدرها وأصلها إلى قسمين:

**الأول:** أخلاق جبليّة غريزية؛ أي: فُطر عليها الإنسان، وخلقها الله فيه.

ومما يدل على ذلك حديث أشج عبد القيس، الذي قال له النبي ﷺ فيه: «إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة»<sup>(١)</sup>، قال: يا رسول الله، أنا أتخلّق بهما أم الله جبّلي عليهما؟ قال: «بل جبّلك الله عليهما»، قال: الحمد لله الذي جبّلي على خلتين يحبهما الله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** أخلاق مُكتسبة، يمكن تحصيلها بالتعلم والتعود عليها، كما دلّ على ذلك قول النبي ﷺ: «إنما العِلم بالتعلم، وإنما الحِلم بالتحلم»<sup>(٣)</sup>.

وإننا عند الحديث عن أخلاق الحرب في السيرة النبوية نعتني بالقسمين، وإن كانت العناية غالبها بالقسم الثاني:

(١) تقدم تخريجه صفحة ١٩٢ .

(٢) أخرجه مسلم، (١-٤٨) برقم (٢٥)، من حديث أبي سعيد الخدري . وأبو داود، برقم (٤٥٤٨) وهذا لفظه.

(٣) رواه الخطيب البغدادي في التاريخ (١٢٧/٩). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٣٤٢).

## الأبغوز حديثاً في مكارم الأخلاق

فنعنتي بتلك القيم والمُثل الحميدة التي أمر بها الإسلام في القرآن والسنة، وامتثلها رسول الله ﷺ اتباعاً منه لشريعة الله ودينه، وتعليماً وتربيةً لجيل الصحابة وما بعده من أجيال.

ونؤكد أن تلكم القيم السامية والخلال الحميدة جاءت لتصفّل ما رُكز في فطرته المستقيمة، ونفسه الطاهرة، وجيئته الراقية، من خصال الكمال، وخلال الجلال، وسجايا الكرام، كمثل وابلٍ أصاب جنّةً برّوةً فآنت أكلها ضعفين، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

وصدق القائل إذ يقول:

يا مَنْ له الأخلاق ما تهوى العلا  
لو لم تُقم ديناً لقامت وحدها  
زانتك في الخلق العظيم شمائلُ  
ولله درُّ القائل:

بلُغ العَلا بكمالِه  
حَسُنْتَ جميعَ خِصالِه  
كشَف الدُّجى بجمالِه  
صَلُّوا عليه وآله

## تقسيم آخر:

وباستقراء نصوص الوحي، وسبّر أدلة الشريعة، والنظر في واقع النفس البشرية وممارستها، يُمكننا تقسيم الأخلاق الإسلامية باعتبار مَنْ تُمارَس معه إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

### القسم الأول: الخلق مع الله:

ونقصد به القواعد والأسس التي تحكّم علاقة العبد بربه ﷻ، وما يتفرّع عنها من آداب وممارسات ظاهرة وباطنة.

ويُعدّ هذا القسم أساساً يُمكن ردُّ القسمين الآخرين له، حيث إن جميع التصرفات البشرية من المكلفين في الإسلام خاضعة لأحكام الشرع، وصادرة من مقام العبودية لله.

### القسم الثاني: الخلق مع النفس:

ونعني به: ما يلتزم به المسلم في خاصة نفسه من آداب وأخلاق، وما يسوس به نفسه من تهذيب وتزكية وتربية.

### القسم الثالث: الخلق مع الخلق:

ونعني به: ما يلتزم به المسلم من أخلاق وسلوكيات مع غيره، والأسس والقواعد الأخلاقية التي تضبط علاقته بالآخرين.

وهذا القسم يمكن تقسيمه إلى أقسام عدة؛ مثل: الخلق مع الأنبياء والرسل، والخلق مع الوالدين، والخلق مع أولي الأرحام، والخلق مع المؤمنين، والخلق مع الكافرين، والخلق مع العجماءات، وغير ذلك.

ولعل أول ما يسبق إلى الذهن عند ذكر أخلاق الحرب هو القسم الأخير من المنظومة الأخلاقية الإسلامية، والمتعلق بالأدب مع الخلق؛ بل ربما حصل ذلك في جزئية الأخلاق مع الأعداء والمحاربين فقط، خاصة أن بعضاً من المصنِّفين في مجال الأخلاق قد درج على الاهتمام بإبراز هذا القسم فقط عند تناول الأخلاق بالدراسة والبحث، دون التعرُّض للقسمين الأولين.

وإذا سلّمنا بإمكانية قبول هذا الحصر من الناحية الاصطلاحية، فإنه لا يمكننا إنكار ما يختزله ذلك الحصر من قيم أخلاقية سامية، وما يُغفله من سلوكيات وممارسات حميدة لا يكتمل عقد الأخلاق بدونها، ولا يتسق نظمها بمعزل عنها، بالإضافة إلى ما يصيب هذه الدراسة من قصور وخلل حين تجتث جزءاً لثعبير به عن الكل، أو تقتطع لبنة أو لبنات لتقوم مقام البنية جمعاء؛ لأن منظومة الأخلاق في الإسلام مترابطة الأجزاء، متكاملة الأعضاء، منسّقة الأبعاض، تتداخل جزئياتها، وتتقاطع فروعها، ولكن بانتظام واتساق، مما يجعل دراسة قسم منها بمعزل عن الآخر دراسة قاصرة مُنتقصة.

والأخلاق في الإسلام تُمثّل أسساً وقواعد ينطلق منها الفرد المسلم في سلوكيات وتصرفات مُنضبطة في مختلف مجالات حياته، وأدقّ تفاصيل معيشتة، بحيث ينضبط ظاهراً وباطناً بتلك الأخلاق الصادرة عن نصوص الوحي، الملازمة لأحكام الشريعة في كينونتها ووجودها.

## الأبعوز حديثاً في مكان الأخلاق

ولذلك آثرتُ إطلاقَ عَنانِ البحثِ في رُبُوعِ الرِّبوةِ الأخلاقيةِ الإسلاميةِ كلها؛ لأحلقَ في تلكِ السماءِ الرَّحبةِ، وأسمو في تلكِ الجنةِ اليانعةِ، مُقتطِفاً من ثمراتها المتنوّعةِ، ومجتنئياً من جناها ما يطوله الفِكرُ، ويُدركه العقلُ، على ما فيه من نقصٍ وضعفٍ.

وفضلتُ أن يحتوي البحثُ في شِقِّهِ التّطبيقيِّ الواقعيِّ دراسةً عن الأخلاقِ أقسامها وأنواعها؛ لأراعي جانبَ الشمولِ من جهةٍ، ولأحفظ اتساقَ عِقدِ الأخلاقِ وانتظامه من جهةٍ أُخرى، في محاولةٍ لتقديمِ صورةٍ مُتكاملةٍ الأجزاءِ، تُعكسُ البُعدَ الخُلقيَّ الشاملَ الكاملَ في المنظومةِ الإسلاميةِ.



## الأخلاق بين الطبع والتطبع

وكما يكون الخلق طبيعة؛ فإنه قد يكون كسباً، بمعنى أن الإنسان كما يكون مطبوعاً على الخلق الحسن الجميل؛ فإنه أيضاً يمكن أن يتخلق بالأخلاق الحسنة عن طريق الكسب والمرونة.

ولذلك قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخلقين يحبهما الله: اللحم والأناة»، قال: يا رسول الله، أهما خلقان تخلقت بهما، أم جبلني الله عليهما؟ قال: «بل جبلك الله عليهما»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما ورسوله<sup>(١)</sup>.

فهذا دليل على أن الأخلاق الحميدة الفاضلة تكون طبعاً وتكون تطبعاً، ولكن الطبع بلا شك أحسن من التطبع، لأن الخلق الحسن إذا كان طبيعياً صار سجية للإنسان وطبيعة له، لا يحتاج في ممارسته إلى تكلف، ولا يحتاج في استدعائه إلى عناء ومشقة، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حرم هذا -أي حرم الخلق عن سبيل الطبع- فإنه يمكنه أن يناله عن سبيل التطبع، وذلك بالمرونة، (والحلم بالتحلم، والعلم بالتعلم)، فهذا دليل على أن الأخلاق الحميدة الفاضلة

(١) تقدم تخرجه صفحة ٢٧٠ .

تكون طبعًا وتكون تطبّعًا ، ولكن الطبع بلا شك أحسن من التطبّع ، لأن الخلق الحسن إذا كان طبيعيًا صار سجيّة للإنسان وطبيعة له .

وليس على الإنسان إلا السعي في تغيير ما يراه من خلق سيئ، وإعلاء الأخلاق الطيبة الحسنة، وأن يطلب من ربه دائمًا أن يهديه لأحسن الأخلاق، فقد كان النبي ﷺ يفتتح صلواته بهذا الدعاء: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئ الأخلاق فإنه لا يصرف سيئ الأخلاق إلا أنت»<sup>(١)</sup>.

فعلى الإنسان أن يسعى لإبقاء الطبع أو التطبّع الحميد، ويحاول جاهدًا أن يتخلّص من الطبع أو التطبّع المذموم.

(١) صحيح أبي داود، برقم (٧٣٨).

## الأخلاق.. وعاء الرسالة الخاتمة

قول الخليل صاحب الخلق العظيم والمثل العليا صاحب الرسالة الخالدة يقول هذه العبارة الكريمة المباركة : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>، كلمة قالها النبي ﷺ ، لتبقى دستوراً للبشرية على مدى التاريخ، يحدوها إلى مكارم الأخلاق، ويدعوها إلى قيادة ركب الحضارة من خلال سلوك أخلاقي فريد، لم تشهد الإنسانية له مثيلاً.

اجتهد النبي ﷺ في حياته على تربية جيلٍ إسلاميٍّ يحمل الأخلاق الحميدة إلى العالمين، وقد ظلت حياته تمثل مدرسة للأخلاق الفاضلة، فجاء القرآن لتزكيته، وعندما سئلت عائشة<sup>١</sup>، عن خلقه، قالت: «كان خلقه القرآن»<sup>(٢)</sup>.

من هنا يمكن القول إن الأخلاق هي جوهر ووعاء الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ من عند ربه، وظل يُكوّن عليها صحابته رضوان الله عليهم، حتى وصلتنا هذه الأخلاق الإسلامية في حلةٍ جميلة، تعشقها النفس، وتهفو إليها الروح، ولكن مؤخراً بدأ نجمُ الأخلاق يافلُ في العالم الإسلامي.

من المعلوم أن الهدف من التعاليم الدينية المختلفة، هو أن تظل ماثلة أمام أعيننا، نترجمها إلى أفعالٍ إيجابية على أرض الواقع، لا أن نظل نرددناها، لا

(١) "تقدم تخريجه صفحة ٧.

(٢) تقد تخريجه صفحة ١٢.

تتجاوز الحناجر، لتغيب فيما بعد عن عقولنا وعن مراحل تعليمنا، فيتمسك جيلنا بأخلاق أخرى، لا تخدم مستقبل أمتنا الإسلامية من أي ناحية.

في السنوات الأخيرة أصبحت بعض الدول الإسلامية لا تلقي بالا لمادة التربية الإسلامية. وكلما فكرت في هذه الظاهرة السيئة، يتملكني الاستغراب حين أسمع عن أسماء كليات جديدة في العالم العربي والإسلامي، ولا أرى كليات للأخلاق الإسلامية، في جامعاتنا المختلفة.. فأبي تقدم تريده أمة بدون أخلاق؟

إن سبب تأخرنا عن الركب الحضاري يعود إلى جهلنا بأهمية الأخلاق في حسم الصراع التاريخي بين الأمم. فمنذ اليوم الذي أصبحت مادة الأخلاق الإسلامية تعيش على هامش الجدول الدراسي في مؤسساتنا التعليمية، أصبحنا نعيش على هامش الحضارة، وما زلنا في سقوط مدوي للأسف.

إذا تأملنا قليلا سنجد أن أغلب العلوم الحياتية تم تطويرها، لكن الأخلاق الإسلامية – حسب علمي- لم تجد حظها من التطوير كي تقبل عليها الشعوب الإسلامية من جديد لتأخذ مكانتها التي تليق بها بين الدول.

أعتقد أننا لو بذلنا جهدا مضاعفا في تطوير الأخلاق الإسلامية، لكان الآخر يتعلم منا، ويستجلب العادات والأخلاق، لكن نجحت الدول الغربية في غزونا بثقافاتهما، فنسينا كل شيء له صلة بالأخلاق، ونسينا أن الأخلاق شرط في بقاء الأمم، فعندما تغيب الأخلاق تنعدم الأمم، يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا

ولعلنا أيضا نسينا المثل العربي الذي يقول: "في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق".

إن أهمية الأخلاق الإسلامية وشموليتها، هي التي جعلتها تصبح من "العلوم البينية" أي التي ترتبط بكل مجال من مجالات الحياة، فلا يمكن أن نُدْرَسَ مجالاً حتى ولو كان معاصراً إلا ووجدنا حاجة أصحابه إلى الأخلاق بادية للعيان.

فالكهربائي مثلاً يحتاج إلى الأخلاق من أجل أن يعي أهمية مهنته، والطبيب يحتاج إلى الأخلاق من أجل أن يُعالج الناس بطريقة أخلاقية، والجندي يحتاج إلى الأخلاق من أجل أن يحافظ على هيبة الدولة.

إن شمولية الأخلاق ينبغي أن تكون دافعا للمسلمين إلى العودة إلى الأخلاق الإسلامية لينهضوا من جديد، ويعلموا أن لديهم اكتفاء ذاتيا في مجال الأخلاق، بالتالي لا يحتاجون إلى التخلق بـ"أخلاق" الآخرين. إنما نحتاج إليه هو أن نعلم أن الأخلاق الإسلامية اعتقاد بالجنان، لا قول باللسان فقط. وقد صدق صاحب الحماسة حين قال:

فلم أجِدِ الأخلاقَ إلا تخلقاً ولم أجِدِ الأفضالَ إلا تفضُّلاً

ولكي نحافظ على أخلاقنا الإسلامية، لا بد وأن نفهم أن الأخلاق تتغير بتغير الزمان والمكان، بالتالي إذا لم نحافظ على أبنائها داخل بيئة إسلامية صرفة، فإنهم لا شك سيتخلَّقون بـ"أخلاق" أخرى، قال الشاعر

إذا بيئَةُ الإنسانِ يوماً تغيَّرتْ فأخلاقُه طبقاً لها تتغيَّرُ

من المؤسف جداً، أن جيلنا المعاصر يوجد من بينه من يعتقد أن التخلق بالأخلاق الإسلامية، يمثل قمة التخلف والرجعية، وأن اتباع “أخلاق” الغرب يمثل قمة التحضر والتقدم، وهذا مشكل حضاري أخلاقي يجب أن نعمل على حلّه من اليوم.

إن المسلمين جميعاً مطالبون اليوم بالاجتهاد في تطوير الأخلاق الإسلامية ونشرها، حتى تصبح قادرة على مقارعة “الغزوي الثقافي”، فالأخلاق هي التي تسمو بالإنسان وترفعه درجات، وتدفعه إلى العمل والبناء وتشبيد الحضارة.

خاتمة موضوع تعبير عن مكارم الأخلاق تكون مميزة جداً، حيث أن مكارم الأخلاق تعتبر صفة من أهم الصفات الحسنة التي يتميز بها الفرد، وتكون دليل على التربية الجيدة للإنسان

### صفة مكارم الأخلاق طاعة الله وللرسول

في خاتمة موضوع تعبير عن مكارم الأخلاق يجب ذكر إن الشخص الذي يتميز بصفة الأخلاق الحسنة يكون يطع الله والرسول.

أمرنا الله ﷻ - بصفة مكارم الأخلاق، وذكرها - عز وجل - في كتابه الكريم، وهذا دليل على مدى أهمية هذه الصفة.

قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾<sup>(١)</sup>.

مثلاً أمرنا الله بالتمتع بصفة الصفات الحميدة أيضاً أمرنا بعدم التحلي بصفة الأخلاق الشنيعة، فهي تعمل على تدمير المجتمع.

قال الله في كتابه الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَمْرُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ يَسْسُ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

كان رسول الله ﷺ لديه كل الصفات الحميدة التي يجب علينا أن نتحلى بها ونلاحظها في خاتمة موضوع تعبير عن مكارم الأخلاق.

وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها أخلاق نبي الله ﷺ بأنها تشبه القرآن الكريم، وهذا يدل على الأخلاق الحسنة.

يجب على كل إنسان أن يأخذ رسول الله قدوة له، فمن الضروري أن يتمتع الكل بصفة الأخلاق الحسنة.

أمرنا سيدنا محمد أن نتعامل مع الناس بالأخلاق الجيدة، كما أنه أمرنا بالتخلص من الصفات السيئة.

(١) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٢) سورة الحجرات: ١١.

## الأربعون حديثاً في مكارم الأخلاق

قال رسول الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها،  
وخالق الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ »<sup>(١)</sup>.

وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليماً..



(١) تقدم تخريجه صفحة ٢١٧.

الموضوعات

مقدمة.....	٥
معنى كلام خديجة.....	١٤
آيات عن مكارم الأخلاق.....	١٨
أخلاق وفضائل أخرى في الدعوة القرآنية.....	٢٣
مكارم الأخلاق على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة.....	٢٦
منزلة الأخلاق في الإسلام.....	٣٥
الحديث الأول: تصحيح النية وإرادة وجه الله بالعمل وحده لا شريك له	٥٨
الحديث الثاني: عفاف السمع والبصر والقلب والفرج.....	٦٢
الحديث الثالث: الرفق في الأمور كلها.....	٦٦
الحديث الرابع: الراحة النفسية والسعادة الأبدية بالرضا بقضاء الله	٦٩
وقدره.....	٦٩
الحديث الخامس: خطورة الرياء.....	٧٢
الحديث السادس: صلة الرحم لوجه الله ليست مبادلة ومعاوضة.....	٧٥
الحديث السابع: تفسير الحياء من الإيمان.....	٧٨
الحديث الثامن: كن مبشراً وإياك والتعسير والتنفير.....	٨٠
الحديث التاسع: الراحمون يرحمهم الرحمن.....	٨٢
الحديث العاشر: صلة الرحم تزيد في العمر والرزق.....	٨٤

- الحديث الحادي عشر: الصدق سبب في نجاح الدنيا والآخرة. ٨٧
- الحديث الثاني عشر: شهادة الزور جريمة كبرى..... ٩٠
- الحديث الثالث عشر: تحريم الخيلاء..... ٩٣
- الحديث الرابع عشر: المحافظة على أمور الدين وسد ذرائع الحرام..... ٩٥
- الحديث الخامس عشر: ذم الاستكثار من الدنيا..... ٩٩
- الحديث السادس عشر: تحريم سبّ الأموات..... ١٠١
- الحديث السابع عشر: تحريم التسخّط من أقدار الله مهما كانت ١٠٣
- الحديث الثامن عشر: الترهيب من سؤال الناس..... ١٠٦
- الحديث التاسع عشر: السماح في البيع والشراء والقضاء ١٠٨
- الحديث العشرون: ارتباط الإيمان بحسن الخلق..... ١١١
- الحديث الحادي والعشرون: الحث على إنظار المعسر والإرفاق في المطالبة..... ١١٤
- الحديث الثاني والعشرون: وجوب الابتعاد عن الغضب؛ لما فيه من الأضرار الجسمية والنفسية والاجتماعية..... ١١٧
- الحديث الثالث والعشرون: من ستر مسلماً ستره الله... ١١٩
- الحديث الرابع والعشرون: حقيقة التوكل على الله..... ١٢١
- الحديث الخامس والعشرون: فضل برّ الوالدين..... ١٢٥
- الحديث السادس والعشرون: رضا الله في رضا الوالدين. ١٣١
- الحديث السابع والعشرون: فضل تقوى الله ٨..... ١٣٣

- الحديث الثامن والعشرون: بيان علو شأن مكارم الأخلاق،  
 وأنها ركن من أركان البعثة النبوية الشريفة..... ١٣٥
- استراحة..... ١٤٤
- من مكارم أخلاق نبينا محمد ﷺ..... ١٤٥
- أمثال وحكم عن مكارم الأخلاق..... ١٤٦
- انهيار الأخلاق انهيار للأمم والحضارات..... ١٥٩
- الكأس والغانية..... ١٦٨
- كيف نسمو بأخلاقنا..... ١٧٠
- الحديث التاسع والعشرون: فضل الشفاعة وقضاء حوائج الناس  
 ..... ١٨٠
- الحديث الحادي والثلاثون: من روائع القصص النبوية  
 الصحيحة..... ١٩٦
- وقفه استراحة..... ١٩٨
- الحديث الثاني والثلاثون: ..... ٢٠٠
- قصة الخشبة العجيبة..... ٢٠٠
- الحديث الثالث والثلاثون: فضل خلق الحلم والأناة..... ٢٠٥
- الحديث الرابع والثلاثون: ثلاث قواعد عامة في التعامل مع الله  
 ثم النفس ثم الناس..... ٢٠٧
- الحديث الخامس والثلاثون: تحريم الحسد..... ٢١٠
- الحديث السادس والثلاثون: تحريم الحسد والنجس والتدابير  
 والتباغض والظلم وبيع المسلم على بيع أخيه..... ٢١٥

## التسيق والإخراج

Q4.Prn  
Quickly For Print

كيوفور  
للطباعة والنشر

q4.prn@hotmail.com

+٩٦٧ ٧٧٧ ٠٢٠ ٠٤٥  
+٩٦٧ ٧٧٤ ٦٦٩ ٤٩٧

الإخراج والنشر



الأربعون حديثًا  
في

مكارم الأخلاق

تأليف

أبو الحسن علي بن محمد القطراني القشيري  
عقرب الله له ولوالديه والفقهاء المسلمين